النُّزول في القرآن الكريم

دراسة عقديّة

إعداد

د/ أحمد محمد حاسن القرشي

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والأنظمة

جامعة الطائف

النُّزول في القرآن الكريم " دراسة عقديّة "

أحمد محمد حاسن القرشي

قسم الشريعة – كلية الشريعة والأنظمة
– جامعة الطائف – المملكة العربية السعودية .

البريد الألكتروني :ahmad-hasn555@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الحديث عن النزول في القرآن الكريم ابتداءً من الله تعالى ، وانتهاء بوصـــوله إلى قلب النَّبيّ ﷺ ، وقد تناول مجموعة من المحاور المتعلقة بمعنى النزول في لغة العرب واشتقاقاته واستعمالاته والكلام عن إحدى دلالات النزول في القرآن وهي النزول المقيد من الله تعالى وهذا يكون في حق كلامه سبحانه وتعالى ، وذكر أبرز أقوال الطوائف في كلام الله جل وعلا وبيان القول الحق المدعوم بالأدلة النقلية وأقوال الســـلف وأئمة العلم والإيمان ، وكذا إيضـــاح دلالة النزول المقيد بالســـماء وما يختص به من أمثلة ، كما يبين دلالة النزول المطلق كإنزال الملائكة والآيات والحديد والميزان والأنعام واللباس .

الكلمات المفتاحية :النزول – القرآن الكريم – الدلالات – أقوال – دراســـة – عقدية .

The Revelation in the Noble Qur'an, "a Dogmatic study"

Ahmed Mohammed Hassin Al- Qurashi

Department of Sharia
- College of Sharia and Regulations -
University of Taif - Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: ahmad-hasn555@gmail.com

Abstract:

This research aims to talk about the revelation in the Holy Qur'an, starting from God, the Almighty, and ending with its arrival to the heart of the Prophet (peace be upon Him). It dealt with a set of axes related to the meaning of revelation in the language of the Arabs, its derivations and its uses. In addition, it included the talk about one of the connotations of revelation in the Qur'an, which is restrictedly descended from God, the Almighty, and this is true with His words, Glory be to Him. The research also mentioned the most prominent sayings of the sects in the words of God, the Dignified and the Glorious, and revealed the truthful saying supported by the transferred evidence and the sayings of the predecessors and the leaders of knowledge and faith. Besides, it clarified the significance of the revelation bound by the sky and its specific examples, as well as the significance of the

absolute revelation, such as the revelation of the angels, the verses, the iron, the balance, the animals, and the dress.

Key words: Revelation- The Holy Qur'an- Connotations- Sayings- Study- Dogmatic

المقدّمة

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمَّداً عبده ورسوله ؛ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

وبعد : فإنَّ خير الكلام كلام الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمَّد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النَّار .

أمَّا بعد :

فللَّه الحمد أن أنزل علينا أفضل الكتب ، وأرسل إلينا أكرم الخلق ؛ بشيرًا ونذيرًا بين يدي السَّاعة ، فهدى به من شاء بفضله ، وأضلّ من شاء بعدله ، فكان ممَّن هدى ؛ أصحابه الكرام ، البررة الأطهار ، والتَّابعين ومن تبعهم بإحسان ، فكانت عقيدتهم في القرآن وكلام الله مطابقة لما كان عليه الأنبياء السَّابقين من آدم عليه السلام ، ونوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – ؛ لأنَّهم أتباع النَّبيّ الخاتم محمَّد ﷺ .

وعارض هذا التَّوحيد الخالص ، والعقيدة الصَّافية ؛ حملة الوثنيَّة ، من كفّار قريش وسائر العرب في الجزيرة العربيَّة ، فانطمست تلك الظُّلمات تحت أنوار الرِّسالة ، وضياء النُّبوَّة ، حتَّى ظهر في الإسلام من أحيا عقيدة فيلسوف قريش وطاغوتها (الوحيد ؛ الوليد بن المغيرة) ، كالجعد بن درهم ، والجهم بن

صـــفوان ، وبشـــرٍ المرّيســـيّ ، فأنكروا كلام الله ، وزعموا أَنَّهُ مخلوق كســـائر الكلام ، ودخل شـــيء من بدع هؤلاء في الفنون المتنوّعة كعلم العقائد ، وعلوم القرآن ، والتَّفســـير والحديث ، فكان من الواجب على المختصِّـــين في العقيدة وعلومها واجب البيان ؛ امتثالاً لقولـه تعـالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

أسباب اختيار الموضوع

فتوجَّهت – بحمد الله وتوفيقه – إلى الكتابة حول ((مســـألة نزول القرآن)) ابتداءً من الله تعالى ، وانتهاء بوصـــوله إلى قلب النَّبيّ ﷺ ، وكان لاختيار الكتابة في هذا الموضوع أسباب عدّة :

١ – الحديث في هذا الباب متعلِّق بأشـــرف كلام عرفه أهل الأرض منذ آدم عليه السلام ، وإلى أن يُرفع القرآن في آخر الزَّمان من السُّطور والصُّدور .

٢ – انحراف الفرق الكلاميَّة الفلسـفيَّة في ((مسـألة الكلام)) وتأثّرهم بأقوال المشركين ؛ الصابئة الوثنيين .

٣ – كثرة الاضطراب في المسألة ، حتَّى قيل : مسألة الكلام حيّرت عقول الأنام .

٤ – ما شـــاع عند طوائف المتكلِّمين من أَنَّهُ لا يجوز أن يَنْزِل القرآن إلى الأرض ، فألفاظ النُّزول والتَّنزيل لا حقيقة لشـــيء منها عندهم ، بل هي على وجه المجاز أو التأويل .

٥ – الإشـارة إلى الخلل الواضـح الَّذي تسـرّب إلى بعض المصـنَّفات في علوم القرآن ، وكيفيَّة نزوله ، وتقرير مذهب الجهميّة بعلم أو بغير علم .

٦ – إبراز مذهب السَّلف من الصَّحابة ﷺ والتَّابعين ومن تبعهم بإحسان ؛ إذ العدول عن طريقهم رمي في عماية ، ووقوع في الضَّلالة .

فكان عنوانه : ((النُّزول في القرآن الكريم ؛ دراســـة عقديّة)) ، فجاء في مقدّمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة .

- **المقدّمة** .وفيها أسباب اختيار الكتابة فيه .
- **المبحث الأَوَّل :** معنى النُّزول في لغة العرب .
- **المبحث الثَّاني :** النُّزول المقيَّد من الله تعالى .
- **المبحث الثَّالث :** أقوال الطَّوائف في كلام الله تبارك وتعالى ((القرآن)).
- **المبحث الرَّابع :** النُّزول المقيَّد بالسَّماء .
- **المبحث الخامس :** النُّزول المطلق .
- **الخاتمة :** وفيها : إجمال أهمّ النتائج .

❁ ❁ ❁

المبحث الأوَّل
معنى النُّزول في لغة العرب

النُّزول في أصل لغة العرب ولسانهم هو: ((الهبوط من علوٍّ إلى سَفل)) [1].

قال ابن فارس : ((النُّون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيءٍ ووقوعه ، ونزل عن دابّته نزولًا ، ونزل المطر من السَّماء نزولًا)) [2] .

وقال ابن دُريد الأزدي : ((ولا يكون النُّزول إلَّا من ارتفاع إلى هبوط ... وأنزل الله ﷻ الكتاب إنزالًا ونزّله تنزيلًا شيئًا بعد شيء)) [3].

قال الأزهريّ : ((نزل : أبو عبيد عن أبي عبيدة : طعامٌ قليلُ النُّزْلِ ، والنَّزَلِ : قليلُ الريع . ... طَعَامٌ نَزِلٌ وأرضٌ نَزِلَةٌ ، وَمَكانٌ نَزِلٌ : سريع السَّيْل . ... مَكَانٌ نَزِلٌ : يُنْزَلُ فيه كثيرًا . ويقال : إنَّ فلانًا لَحَسَنُ النُّزْلِ والنُّزُلِ أي الضِّيافة ، وَنَزَلْت القوم أي أنْزَلتهم المنازل ، وَنَزَّل فُلَانٌ عِيْرَه ؛ أي قَدَّر لها المنازل)) [4] .

---

(١) عمدة الحفَّاظ (٤ /١٨٨ – ١٨٩) للسَّمين الحلبي ، قال ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – : ((وهذا من المعلوم بالضَّرورة من اللُّغة ، وهو من اللُّغة العامّة الشَّائعة)) ؛ بيان تلبيس الجهميَّة (٦ /٨) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥ /٤١٧) .

(٣) جمهرة اللغة (٢ /٨٢٧) ، وانظر : الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (٢ /٣٨٨) ، والتَّوقيف على مهمّات التَّعاريف (ص ٣٢٣) .

(٤) تهذيب اللّغة (٤ /٤٥٥٤) للأزهري .

وترِدُ هذه العبارة ويراد بها معانٍ مع ما تقدَّم :

منها : النُّزُلْ : ما يُعَدُّ ويُهيئ للضَّـــيف إذا نزل بقوم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة : ٥٦] ، ورَدَ على ســـبيل التّهكّم [(١)] ، وقوله سبحانه : ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف : ١٠٧].

ومنها : النَّزِلْ : المكان الصَّـلْب السـريع السـيل ، وأرض نَزِلة : تسـيل من أدنى مطر ، ومكانٌ نَزِل : سريع السَّيل)) [(٢)] .

ومنها : النُّزَالة : ما يُنزل الفحل من الماء ، وخصّ الجوهريّ فقال : النُّزَالة – بالضمّ– ماء الرَّجل، وقد أنزل الرَّجلُ ماءه إذا جامع ، والمرأة تستنزل ذلك[(٣)].

ومنها : – أي من معاني النُّزول – الحلول ، كقوله تعالى:﴿ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [الصَّافَّات : ١٧٧] .

---

(١) انظر : عمدة الحفَّاظ (٤ /١٩٠ – ١٩١) للسَّمين الحلبي ، وتهذيب اللُّغة (٤ /٣٥٥٥) للأزهري ، ولســـان العرب (١١ /٦٥٨) لابن منظور . ووردت آيات مماثلة في آل عمران : ١٩٨ ، السَّجدة : ١٩ ، الصّافَّات : ٦٢ ، فصّلت : ٣٢ .

(٢) لســان العرب (١١ /٦٥٩) لابن منظور ، وانظر : تهذيب اللغة (٤ /٣٥٥٥) للأزهري .

(٣) لســـان العرب (١١ /٦٥٩) لابن منظور ، والمفردات (ص ٨٠١) للرَّاغب . يقول ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – : ((ومن المشـهور في اللُّغة أن يقال عن ابن آدم : أنزل الماء أو المنيّ ، ولم ينزل)) . بيان تلبيس الجهميَّة (٦ /١٠) .

ومنه قول الشَّاعر :

أَإِنْ ذَكَّرَتْكَ الدَّارُ مَنْزَلَهَا جُمْلُ ❁ بَكَيْتَ فَدَمْعُ العَيْنِ مُنْحَدِرٌ سَجْلُ (١)

ومنها : النِّزَالُ للحرب ؛ لقولهم فيها : نزَال ، قال الشَّاعر :

فَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ ❁ وعَلامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ ؟ (٢)

وقول الآخر :

وقَدْ عَلِمَتْ خَيْلٌ بِمُوقَانَ أَنَّنِي ❁ أَنَا الفَارِسُ الحَامِي لدى الموتِ نَزَّالِ (٣)

وجاء استعمال النُّزول بمعنى الهبوط عن ظهر الدابَّة إلى الأرض ، ففي الحديث الَّذي رواه الشَّيخان عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ : «قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَ تَنْزِلُ غَدًا - فِي حَجَّتِهِ - ؟ قَالَ : وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلاً ؟ ، ثُمَّ قَالَ : نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ ؛ الْمُحَصَّبِ (٤) ، حَيْثُ تَقَاسَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْكُفْرِ ...)» (٥) .

---

(١) المصدر نفسه (١١ /٦٥٦) . وعزاه في تاج العروس لثعلب (٣٠ /٤٧٨) ، ولم أعثر عليه في غيره .

(٢) عمدة الحفَّاظ (٤ /١٩١) للسَّمين الحلبي . والبيت للشَّاعر المخضرم ربيعة بن مقروم الضبيّ ، انظر : ديوانه (ص ٤٤) .

(٣) لسان العرب (١١ /٦٥٧) . والبيت للشمَّاخ ، انظر : ديوانه (ص ٤٥٦) .

(٤) الْمُحَصَّبُ – بفتح الحاء والصَّاد المهملتين – ، والحَصْبة – بفتح الحاء وإسكان الصَّاد – ، والبطحاء ، وخيف بني كنانة ؛ اسم لشيء واحد . شرح صحيح مسلم (٩ /٦٥ – ٦٦) .

(٥) (فتح ٦ /٢٠٢ – ٢٠٣) ، ومسلم ، كتاب الحجّ ، باب النُّزول بمكّة للحاج ، برقم (١٣٥١) (نووي ٩ /١٢٨ – ١٢٩) .

يقول الإمام ابن تَيْمِيَّة – معلِّقًا على الحديث – : ((واستعمال لفظ النُّزول في النُّزول من ظهر الدّابَّة أكثر وأشهر)) [1] .

وفيصل التَّفرقة بين أهل القرون المفضَّلة ومن تبعهم بإحسان ، وبين أهل الأهواء والكلام المبتدع : أنَّ الأوّلون حملوا نصوص القرآن على معاني كلام العرب الَّذي نزل القرآن بلسانهم ، والآخرون أخضعوا القرآن لمصطلحات حادثة . يقول الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – : ((الاستدلال بالقرآن إنَّما يكون بحمله على لغة العرب الَّتي أُنزل بها ، بل قد نزل بلغة قريش ، كما قال تعالى : ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ﴾ [إبراهيم : ٤] ، وقال : ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [الشُّعراء : ١٩٥] ، فليس لأحد أن يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام ، واصطلاح خاص ، بل لا يحمله إلاَّ على تلك اللُّغة ...)) [2] .

ويقول في جواب الاعتراضات المصريّة على الفتوى الحمويّة : ((أنّ أصحابه المعروفين هم الَّذين نزل القرآن بلغتهم ؛ فإنَّ لغات العرب وإن اشتركت في جنس العربيَّة فبينها افتراق في مواضع كثيرة ... والقرآن نزل بلغة قريش ونحوهم من أهل الحاضرة والبادية ، وأولئك هم خواصّ أصحابه ، فلا يحتاجون في معرفة لغتهم وعاداتهم في خطابهم إلى شعر شاعر غيرهم ، فضلاً عمَّن يكون حدث بعدهم)) [3] .

---

(١) بيان تلبيس الجهميَّة (٦ /١٢) .

(٢) المصدر نفسه (٣ /١٩٢) . وانظر : جواب الاعتراضات المصريّة على الفتوى الحمويّة (ص ١٧ – ١٨) ، ومجموع الفتاوى (١١ /٣٣٧) لابن تَيْمِيَّة .

(٣) (ص ١٥) ، وانظر : مجموع الفتاوى (٧ /١٢٤) و (١٥ /٨٨) .

ولفظ النُّزول في القرآن العزيز على ثلاثة أضـــرب ، فيأتي مقيّدًا من عند الله تبارك وتعالى ، ويَرِدُ مقيَّدًا بأنّه من السَّـــماء ، ويأتي مُطلقًا بدون تقييد في أشياء ، كإنزال السَّكينة في قلوب المؤمنين في مواطن الجهاد ؛ تثبيتًا لهم ، وخذلانًا لعدوّهم [1] .

الضَّـــرب الأَوَّل : نزول مقيّد بأنّه من الله تبارك وتعالى ، وهذا النَّوع لم يرد إلاَّ في نزول القرآن العزيز [2] ، قال تعالى : ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ﴾ [الأنعام : ١١٤] ، وقال سبحانه : ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الزُّمر : ١ ، الجاثية : ٢ ،

---

(١) وقد جنح الرَّازي في (أســاس التَّقديس) ونصــر القول بأنّ النُّزول ليس المراد منه إتيان شيء من علوّ إلى سفل ، وذهب إلى أنَّ النُّزول قد يستعمل في غير الانتقال ؛ مستدلاً بإنزال الأنعام ، والسَّكينة ، والملائكة ، وغيرها من المخلوقات . انظر : أساس التَّقديس (ص ١٢٤) .

وقد أفرد الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – مصـــنَّفًا حافلاً للردّ على الرَّازيّ في أســـاس التَّقديس بعنوان ((بيان تلبيس الجهميَّة في تأســـيس بدعهم الكلاميَّة)) ذكر في مطلع المجلّد السَّــادس هذه الأنواع الثَّلاثة للنُّزول (٦ /٨) فما بعدها ، وضــعف مزاعم الرَّازيّ بـدلائـل النَّقل ، والعقل ، واللغـة . انظر في الأنواع الثَّلاثـة للنُّزول : مجموع الفتـاوى (١٢ /١١٨ ، ٢٤٧ – ٢٤٩) لابن تَيْمِيَّة .

(٢) ((التِّبيان في نزول القرآن)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٢٤٧) .

الأحقاف : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ ﴾ [غافر : ٢] ، وقل جلّ وعلا : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ [فُصِّلت : ٢] .

الضَّـــرب الثَّاني : نُزول مقيَّد بأنّه من السَّـــماء ، كإنزال الغيث [(١)] . قال تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ [الحجّ : ٦٣] ، وقال سـبحانه : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [النُّور : ٤٣] ، وقال تـعـالـى : ﴿ رَأَىٰهُ ۝١١ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ﴾ [الفرقان : ٤٨] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ ﴾ [الواقعة : ٦٨ – ٦٩] . قال ابن عطيَّة الأندلسـي – رحمه الله – : ((والمُزن : السَّحاب بلا خلاف ، ومنه قول الشَّاعر :

وَنَحْنُ كَمَاءِ المُزْنِ مَا فِي نِصَـابِنَا ❁ كَـهَـامٌ وَلاَ فِـيـنَـا يُـعَـدُّ بَـخِـيـلُ)) [(٢)]

الضَّـــرب الثَّـالـث : نزول مطلق ، غير مقيَّد ؛ لا من عند الله ، ولا من السَّـماء ، كإنزال السَّـكينة ، والحديد ، والميزان ، والأنعام . قال تعالى : ﴿ ٱلْأُنثَىٰ

---

(١) المصدر نفسه (١٢ /٢٤٨) .

(٢) المحرَّر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز (٥ /٢٤٩) ، والبيت للسـموأل بن عاديا من البحر الطَّويل . انظر : ديوانه (ص ٩١) .

﴿ ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن ﴾ [التَّوبة : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزُّمَر : ٦] (١) .

قال الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – : ((ولا حاجة إلى إخراج اللَّفظ عن معناه المعروف لغة ؛ فإنَّ الأنعام تنزل من بطون أمّهاتها ، ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمّهاتها ، ... فكيف بالأنعام الَّتي غالب إنزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الإناث ؟!)) (٢) .

وقال جلّ وعلا مبيّنًا إنزال اللِّباس ، وتفضّله على بني آدم بما يواري سوءاتهم ، ويتجمّلون به من لباس وأثاث ، فقال : ﴿ فَنَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ ﴾ [الأعراف : ٢٦] . وقد ذكر الله تبارك وتعالى في سورة النَّحل إنعامه على عباده ، ففي

---

(١) ((التبيان في نزول القرآن)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٣٤٩) .

(٢) المصدر نفسه (١٢ /٢٥٤) .

أوَّل السُّورة أورد أصول النِّعم الَّتي لا يعيش الخلق إلاَّ بها ، وذَكر في وسطها تمام النِّعم الَّتي لا يطيب عيشهم إلاَّ بها [١] .

وفي بيان حقيقة إنزال اللِّبَاس ومعنى ذلك قال الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – : ((... واللِّبَاس والرياش ينزل من ظهور الأنعام ، وكسوة الأنعام منزلة من الأصلاب والبطون كما تقدّم ، فهو منزل من الجهتين ، فإنَّه على ظهور الأنعام لا ينتفع به بنو آدم حتَّى ينزل)) [٢] .

وبعد ذكر هذه الأضرب الثَّلاثة للنُّزول ، يتَّضح جليًّا أَنَّهُ ليس في القرآن ولا في الحديث النَّبويّ ؛ لفظ النُّزول إلاَّ كان المقصود به المعنى المعروف في كلام العرب ولسانهم ، وهذا هو اللائق بالكتاب العزيز ؛ فإنَّه نزل بلغة العرب ، بلسان عربيّ مبين ، والعرب لا تعرف نزولاً إلاَّ ما كان من علوّ إلى سفل [٣] .

وسأتناول في هذا البحث الأنواع الثَّلاثة للنُّزول (نزول القرآن ، والنُّزول المقيَّد بالسَّماء ، والنُّزول المطلق) بشيء من التَّفصيل ؛ ليتبيَّن ضلال أساطين

---

(١) انظر : المصدر نفسه (١٢ /٢٥٦) .

(٢) انظر : المصدر نفسه (١٢ /٢٥٧) .

(٣) انظر : المصدر نفسه (١٢ /٢٥٧) ، والتِّبيان في أيمان القرآن (ص ٣٤٣) لابن القيِّم . ومسألة القرآن ذات طرفين عظيمين ، أحدهما : تكلّم الله بالقرآن . والثَّاني : تنزيله إلى خلقه ، فأعظم الأصلين الأَوَّل ، والثَّاني أسهل ، وهو مبنيّ على ثبوت الأَوَّل . انظر : مجموع الفتاوى (١٢ /٢٧٤) ، والتِّبيان في أقسام القرآن (ص ٣٤٣) .

الفلسفة ، وعلماء الكلام من الجهميَّة ، وتقرير مذهب السَّلف من الصَّحابة ﷺ والتَّابعين لهم بإحسان ، وما قرّره أئمَّة السُّنَّة المحضة وعلى رأسهم الإمام ابن تَيْمِيَّة وتلميذه ابن قيِّم الجوزيّة .

مع إيضاح الخلل الَّذي دخل على بعض المصنِّفين في علوم القرآن كالسّيوطيّ – رحمه الله – في (الإتقان) (١) ، والزّرقاني في (مناهل العرفان) (٢) من ((أنَّ جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى سيدنا محمَّد ﷺ)) ، فمثل هذه الأصول الكبار المتعلِّقة بصفة الكلام ، ونزول القرآن والوحي ، لا يعتمد فيها على المتأخّرين – كالرَّازي وأضرابه – ممَّن تأثّر بعلم الكلام ، ورضع من لبان الفلسفة والتجهّم ، وإنما العمدة فيه على ما نطق به الوحي ، وفهمه الصَّحابة الكرام ﷺ ، وتلقّاه عنهم التَّابعون ، ودرج عليه الأئمَّة الأربعة عليهم رحمة الله .

وقد نبَّه أئمَّة السُّنَّة إلى هذا المنزلق الَّذي زلّت فيه أقدام ، وطاشت فيه أحلام ، فهذا الإمام أبو سعيد الدّارمي – عليه رحمة الله – يقول : ((وقد كان من مضى من السَّلف يكرهون الخوض في هذا ، وما أشبهه ، وقد كانوا رزقوا العافية منهم ، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام ، وذهاب العلماء ، فلم نجد بُدًّا من أن نردّ ما أتوا به من الباطل بالحقّ ، وقد كان رَسُولُ الله ﷺ يتخوّف ما

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن (١ /٢٨٩) فما بعدها ، ط : المجمع ، وتعقّب المحقّق المصنِّف في هذا الموطن . وفتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم (١ /٢١٤).

(٢) انظر : مناهل العرفان (١ /٦٥) فما بعدها .

أشـــبه هذا على أمّته ، ويحذّرها إيّاهم ، ثمَّ الصَّـــحابة ﷺ والتَّابعون ؛ مخافة أن يتكلّموا في الله ، وفي القرآن بأهوائهم ، فيضـــلّوا ويتماروا به عن جهل ، فيكفروا ...) ، إلى أن قال : ((فكيف بهؤلاء المنسلخين من الدِّين والعلم ، الَّذين ينقضونه نقضًا ، ويفسِّرونه بأهوائهم خلاف ما عنى الله ، وخلاف ما تحتمله لغات العرب . ولقد قال بعض أهل العلم : لا تهلك هذه الأمّة حتَّى تظهر فيهم الزّندقة ، ويتكلّمون في الربّ تبارك وتعالى)) [1] .

❁ ❁ ❁

(١) الردّ على الجهميَّة ((ضمن عقائد السّلف)) (ص ٢٥٩ – ٢٦٠) علي النشَّار ، وعمَّار الطَّالبي . وانظر كلامًا مشـــابهًا للإمام الدّارمي – رحمه الله – في ((ردّ الإمام الدّارمي على بشر المرّيسي)) ، المصدر نفسه (ص ٣٦٠).

المبحث الثَّاني
النُّزول المقيَّد من اللّه تعالى

النُّزول المقيَّد من الله تبارك وتعالى ، والَّذي لم يرد إلاَّ في تقرير نزول القرآن ، أخبر الله عنه في مئة وسبع سور من القرآن العزيز ، وقد تتبّعت مادّة (نزل) وبعض اشتقاقاتها ، فجاءت على النَّحو التَّالي :

أَنْزَلَ : وردت في خمس وثلاثين موضعًا ، في تسع وعشرين سورة.

أُنْزِلَ : وردت في اثنين وأربعين موضعًا ، في ستّة عشر سورة .

أَنْزَلْنَا : وردت في عشرين موضعًا ، في عشرين سورة .

أَنْزَلْنَاهُ : وردت في أحد عشر موضعًا ، في إحدى عشرة سورة .

تَنْزِيلٌ : وردت في أحد عشر موضعًا ، في عشر سور .

نَزَّلَ : وردت في ستّ مواضع ، وستّ سور .

نَزَّلْنَا : وردت في ستّ مواضع ، وستّ سور .

نَزَلَ : جاء في ثلاث مواضع ، وثلاث سور [1] .

---

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٦٩٤ – ٦٩٨) . قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : ((والآيات المصـــرِّحة بلفظ الإنزال والنّزول في القرآن كثيرة)) . فتح الباري (١٣ /٤٧٢) .

فكان مجموع المواطن السَّـــابقة (أَنْزَلَ ، أُنْزِلَ ، أَنْزَلْنَا ، أَنْزَلْنَاهُ ، تَنْزِيلٌ ، نَزَّلَ ، نَزَّلْنَا ، نَزَلَ) مئة وســـتّون آية في القرآن العظيم ، تثبت أنَّ الذِّكر الحكيم كلام الله تكلَّم به حقيقة ، وســـمعه من جبريل عليه السلام ، وبلَّغه إلى محمَّد ﷺ ، ﴿ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ ﴾ [الشُّعراء : ١٩٣ – ١٩٥] ، وقد عقد الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – بابًا قال فيه : ((بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن إلاَّ وحيًا وليس بمخلوق)) في كتاب (الردّ على الزَّنادقة والجهميّة) ، ذكر في أوَّل الباب شبهة كفّار قريش بتسميتهم القرآن شعرًا وأساطير الأوّلين ، وأضغاث أحلام ، وتقوّله من تلقاء نفسه ، وتعلّمه من غيره [1] ، وَرَدَّ هذه المزاعم بمطلع ســورة النَّجم ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ

---

(١) يقول الإمام الدارمي – رحمه الله – : ((ثمَّ لم يزل هذا الكفر دارسًـا طامسًـا بعد كفّار قريش ، لما قد طمسـه الله بتنزيله ، حتَّى مضـى النَّبيُّ ﷺ وأصـحابه والتَّابعون . فكان أوَّل من أظهره في آخر الزَّمان في الإســـلام ؛ الجعد بن درهم بالبصـــرة ، وجهم بخراسان ، فقتلهما الله بِشَرِّ قِتلة ... ثمَّ لم يزل طامسًا دارسًا حتَّى درج العلماء ، وقلّت الفقهاء ، ونشـــأ نشء من أبناء اليهود والنَّصـــارى ، مثل بشـــر بن غياث المرّيســـي ونظرائه ...)) ؛ ردّ الإمام الدّارمي على المرّيسي ((ضمن عقائد السَّلف (ص ٤٦٦) ، وانظر : مجموع الفتاوى ((قاعدة في القرآن وكلام الله)) (١٢ /٢٦ – ٢٧) ، والفتاوى الكبرى (٢ /٤٠٣) ، وشـرح الأصـفهانيّة (ص ١٠٦) ، ومجموعة الرَّسـائل والمسـائل (٥ /١٦١) ، ومنهاج السُّنَّة (٥ /٣٩٢) .

عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ ثمَّ قال : ((فرحم الله من فكّر ، ورجع عن القول الَّذي يخالف الكتاب والسُّـــنَّة ، ولم يقل على الله إلاَّ الحقّ ، فإنَّ الله قد أخذ ميثاق خلقه . فقال : ﴿ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [الأعراف : ١٦٩] ... وقد ذكر الله كلامه في غير موضـع من القرآن ، فسمَّاه كلامًا ، ولم يسمّه خلقًا ، قولـه : ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ [البقرة : ٣٧] ، وقال : ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ ﴾ [البقرة : ٧٥] ، وقال : ﴿ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وقال : ﴿ هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا ﴾ [الأعراف : ١٤٤] وقال ﴿ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ ﴾ [النِّســاء : ١٦٤] ، وقال : ﴿ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ ﴾ [الأعراف : ١٥٨].

فأخبرنا الله أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يؤمن بالله وبكلام الله ... فهذا منصـــوص بلسان عربيّ مبين لا يحتاج إلى تفسير ، وهو مبيّن بحمد الله)) [(١)] .

وقد كتب الإمام الطحاوي عقيدته المشـــهورة بعد المائتين للهجرة [(٢)] ، وأوضـح فيها ما كان عليه السَّلف الصَّـالح من الصَّـحابة والتَّابعين في مسـائل الدِّين الكبار كالتَّوحيد والإيمان ، والنُّبوّة والمعاد ، ونقل عن الإمام أبي حنيفة

---

(١) الردّ على الزَّنادقة والجهميّة ((ضـــمن عقائد السَّـــلف (ص ٧٧ – ٧٨) ، وانظر : ردّ الإمام الدّارمي على المرّيسي ، المصدر نفسه (ص ٤٦٥) .

(٢) الإمام أبو جعفر أحمد بن محمَّد بن سلامة الأزدي الطّحاوي ، ولد سنة ٢٣٩ ، وتوفّي سنة ٣٢١ هـ- ، انظر : الأنساب (٤ /٥٣) للسَّمعاني .

النّعمان ، وصـــاحبيه [1] ما كانوا يعتقدون في أصـــول الدِّين ، وتوحيد ربِّ العالمين ، فقال – أي الإمام الطّحاوي – : ((وإنَّ القرآن كلام الله ، منه بدأ بلا كيفيّة قولاً ، وأنزله على رســوله ﷺ وحيًا ، وصــدّقه المؤمنون على ذلك حقًّا ، وأيقنوا أَنَّهُ كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البريّة .

فمن ســمعه فزعم أَنَّهُ كلام البشــر فقد كفر ، وقد ذمّه الله وعابه ، وأوعده بسقر ، حيث قال تعالى :﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدّثّر : ٢٦] ، فلمَّا أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدّثّر : ٢٥] علمنا وأيقنّا أَنَّهُ قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر)) [2] .

طرق القرآن في تقرير كلام الله تعالى وأنّهُ منزل من عنده على رُسلِه الكرام

وقد سلك القرآن أنواعًا من الطُّرق في تقرير كلام الله تبارك وتعالى وتنزيله على رسله الكرام سفرائه إلى أهل الأرض ، فمن ذلك :

---

(١) أحدهما : أبو يُوسف يعقوب بن إبراهيم الحِمْيريّ الأنصاريّ .

الثَّاني : محمَّد بن الحسن الشّيباني .

(٢) حاشـــية على شـــرح العقيدة الطحاوية (١ /٢٠١) د. عبد العزيز آل عبد اللّطيف ، وانظر : مجموع الفتـاوى (١٢ /٣٧ – ٣٨) . والاختلاف في القرآن نوعـان : ١ – اختلاف في تنزيله ، ٢ – اختلاف في تأويله .

فالاختلاف في أنَّ القرآن : منزل من عند الله أو غير منزل ، كان أوَّل ابتداء الإســـلام بين المؤمنين والكافرين . انظر : ((قاعدة في القرآن وكلام الله)) ضـمن مجموع الفتاوى (١٢ /٦ – ٧) لابن تَيْمِيَّة ، والمصدر نفسه (٥ /٧٦) و (١٣ /١٩) .

١ – بيان أنَّ الغاية من إرسال الرُّسل تبليغ كلام الله الَّذي أنزله إليهم ، قال تعالى : ﴿ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وقال : قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

٢ – بيان أنَّ أصل الإيمان : الإيمان بما أنزله الله تبارك وتعالى من وحيه على رسله هدى ورحمة للعالمين ، قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ١ – ٤]

٣ – التَّنويه بإنزال القرآن ، وجعله فاتحة لبعض السُّور إخبارًا منه تبارك وتعالى بأنّه كلامه المنزل ، كقوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزُّمر : ١] ، وقوله : ﴿ يُوحَىٰٓ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [غافر : ١ – ٢] ، وقوله : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ [فُصِّلت : ١ – ٣] ، وقوله : ﴿ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا ﴾ [الزُّخرف : ١ – ٢] ، وقوله : ﴿ يُوحَىٰٓ ﴿٤﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [الدّخان : ١ – ٣] ، وقوله : ﴿ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾

[الجاثية : ١ – ٢] ، وقوله : ﴿ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ سِدْرَةَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف : ١ – ٢] .

٤ – الثناء على نفسه المقدّسة ، والامتنان على خلقه بإنزال كلامه ووحيه على عبده وخليله محمَّد ﷺ ، فقال : ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [الكهف : ١] ، وقال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

٥ – تهديد وتبكيت المكذّبين بإنزال الوحي على الرُّسل الكرام – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – ابتداءً من قوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود وأهل مدين ، وقوم إبراهيم وموسى ، ومشركي العرب وسائر الأمم المتقدّمين والمتأخّرين ، يتّبعون أهواءهم وما وجدوا عليه آباءهم ، ويكذّبون بالوحي المنزَّل من عند الله – تبارك وتعالى – وقد قال لهم ﷻ – عندما أهبط آدم عليه السلام من الجنَّة – : ﴿ ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ﴾ [البقرة : ٣٨ – ٣٩] ، وقال سبحانه : ﴿ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النجم : ١ – ٣٠] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ – ١٢٧] .

٦ – ثنّى الحديث عن إنزال القرآن في السُّـــورة الواحدة ، فيذكر إنزاله في أوّلها ووسطها وآخرها كما في سورة البقرة ، قال في أوّلها : {وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ} [البقرة : ٤] ، وقال في وسـطها : { قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} [البقرة : ١٣٦] ، وقال في آخرها : {ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} [البقرة : ٢٨٥] .

وفي ســـورة آل عمران ، قال في أوّلها : {الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ} [آل عمران : ١ – ٤] ، وقال في أثنائها – وبعد ما يزيد على ثمانين آية – قال : { قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} [آل

عمران : ٨٤] ، وفي آخرها أثبت شـــهادة بعض أهل الكتاب بإيمانهم بما أُنْزِل إليهم وما أُنْزِلَ على محمَّد ﷺ فقال : {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ} [آل عمران : ١٩٩] (١) .

٧ – إثبات شـــهادة نفر من الجنّ بما أنزل الله على موســـى ومحمَّد – صلَّى الله عليهما وسلَّم – حين استمعت الجنّ بوادي نخلة قراءة الرَّسولِ ﷺ في صـــلاة العشـــاء الآخرة (٢) قوله تعالى : {وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الأحقاف : ٢٩ – ٣٠] (٣) .

٨ – إظهار شـــهادة كفّار قريش بمكّة ، حين اعترضـــوا على الاختيار الربّانيّ ، والحكمة الإلهيّة باصـــطفاء محمَّد ﷺ للنّبوّة ، وتنزّل القرآن على قلبه ،

---

(١) انظر : ((قاعدة في القرآن وكلام الله)) ضـــمن مجموع الفتاوى (١٢ /٧ – ١٠) لابن تَيْمِيَّة .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤ /٢٤٩) لابن كثير ، والمحرّر الوجيز (٥ /١٠٤) لابن عطيّة .

(٣) ((قاعدة في القرآن وكلام الله)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٢٥) لابن تَيْمِيَّة .

فقال سبحانه : {وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } [الزُّخرف : ٣٠ - ٣٢].

وتقدَّمت الإشارة إلى أنَّ ((مسألة القرآن ذات طرفين عظيمين ، لا بُدَّ من تقريرهما ، يقول الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – : ((ومسألة القرآن لها طرفان :

أحدهما : تكلّم الله به ، وهو أعظم الطرفين .

الثَّاني : تنزيله إلى خلقه ، والكلام في هذا سهل بعد تحقيق الأَوَّل)) [(١)] .

وصفة الكلام الَّذي أخبرت به الرُّسل ، وأُنزلت به الكتب أَنَّهُ تبارك وتعالى ((متكلِّم بكلام قائم بنفسه ، وهذا هو الَّذي بَيَّنَتْهُ ، وهذا هو الَّذي فهمه عنهم أصحابهم ، ثمَّ تابعوهم بإحسان ، بل علموا هذا من دين الرُّسل بالاضطرار ، ولم يكن في صدر الأمَّة وسلفها من ينكر ذلك)) [(٢)] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ /٢٧٤) . وانظر : ((الكيلانيّة)) ضمن المصدر نفسه (١٢ /٣٩٥) . وقد تقدّم الكلام عن طرق إثبات تنزيل القرآن من ثمانية طرق .

(٢) شرح الأصبهانيَّة (ص ٤٧٨ – ٤٨٩) و (ص ١١) ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٢ /٣٧ – ٣٨ ، ٣٥٥) و (١٢ /١٧٣ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٦) ، وجامع الرَّسائل (٢ /٤) كلّها لابن تَيْمِيَّة ، وسرد في جامع الرَّسائل جملة من كبار أئمَّة السَّلف كابن مندة ، وأبي إسماعيل الأنصاري ، وابن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، والبخاريّ ،

طُرق أهل السُّنّة والجماعة لإثبات كون الله يتكلّم بمشيئته

ولأهل السُّـــنَّة والجماعة طرق لإثبات كون الله متكلّمًا بمشـــيئته ، لم يزل متكلّمًا إذا شاء وكيف شاء ، وهي على نوعين :

النَّوع الأوَّل : الطُّرق السَّمعيَّة :

١ – مـا في القرآن من الإخبـار عن ذلك ، كقولـه تعـالى : {قَالَ ٱللَّهُ} [المائدة : ١١٥] ، وقوله : {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا} [المائدة : ١٦٤].

٢ – ما ذكره في القرآن من كلمته وكلماته ، كقوله تعالى : {وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ} [يونس : ١٩] ، وقوله : {وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ} [الأنعام : ١١٥] .

٣ – وما في الكتاب العزيز من ذكر مناداته ومناجاته ؛ كقوله ســـبحانه : {وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا} [مريم : ٥٢] ، وقوله : {وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ} [القصـــص : ٦٢] ، وقوله : {وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ } [القصص :

والدّارميّ ، ممَّن لا يحصـــى من الأئمَّة . المصـــدر نفســـه (ص ٤ – ٥) ، ومجموع الفتاوى ((الرّسالة المدنيّة في الحقيقة والمجاز)) (٦ /٣٥٥ – ٣٥٦) .

٦٥] ، وقوله : {وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الشُّعراء : ١٠] .

٤ – وما في القرآن العزيز من ذكر إنبائه وقصصه ؛ كقوله : {قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} [التَّوبة : ٩٤] في أمر المنافقين ، وقوله : {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ} [يوسف : ٣] .

٥ – ما في القرآن المجيد من ذكر حديثه ؛ كقوله سبحانه : {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا} [النِّساء : ٨٧] ، وقوله : {نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ} [الزُّمر : ٢٣] ، وقوله : {فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ} [الجاثية : ٦] ، وقوله : {فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ} [الطُّور : ٣٤] .

٦ – ما فيه من أنَّ القول منه ؛ كقوله تعالى : {وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السَّجدة : ١٣] ، وقوله : {فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ} [الصَّافَّات : ٣١] [(١)] .

---

(١) انظر هذه الطُّرق في / شرح الأصبهانيّة (ص ٤٩٤ – ٤٩٥) ، والتّسعينيّة (٣ /٨٠٣ – ٨٠٨) لابن تَيْمِيَّة . وعن بعضها : ((التِّبيان في أيمان القرآن)) (ص ٢١٨ – ٢١٩) لابن القيّم .

٧ – ما ذكره الله – تبارك وتعالى – في القرآن أَنَّهُ منه ، أو ما أضيف إليه [١] : ((فإن كان عينًا قائمة بنفسها أو أمرًا قائمًا بتلك العين ، كان مخلوقًا ؛ كقوله في عيسى عليه السلام : {وَرُوحٌ مِّنْهُ} [النِّساء : ١٧١] ، وقوله : {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ} [الجاثية : ١٣] ، وقوله : {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ} [النَّحل : ٥٣] .

وأمَّا ما كان من صفة لا تقوم بنفسها ، ولم يذكر لها محلّ غير الله ؛ كان صفة له كالقول والعلم .

والأمر إذا أريد به المصدر كان من هذا الباب ؛ كقوله تعالى : {أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف : ٥٤] ، وإن أريد به المخلوق المكون بالأمر كان من الأوَّل ؛ كقوله : {أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النَّحل : ١] .

وبهذا يفرّق بين كلام الله سبحانه ، وعلم الله ؛ وبين عبد الله ، وبين الله ، وناقة الله)) [١] .

---

(١) المصدر نفسه (ص ٤٩٥ – ٤٩٦) ، وانظر : الصّفديّة (٢ /٦٧ – ٦٨) ، ومجموع الفتاوى (١٥ /٢٦٥) ، والجواب الصّحيح (٢ /١٥٥) و (٣ /٢٤٩) و (٤ /٧١) ، ومنهاج السُّنَّة (٢ /١٣٩) لابن تَيْمِيَّة .

النَّوع الثَّاني : الطُّرق العقليَّة [١]:

وهذا الباب قرّره أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة ، وبرّزوا في بيانه بناءً على أدلّة الوحي الَّتي اشتملت على النَّوعين من الأدلّة – السَّمعيَّة والعقليَّة – وما فيهما من التَّلازم ، فكلّ منهما مستلزم صحّة الآخر ، يقول القاضي عياض – رحمه الله – : ((فجمع فيه من بيان علم الشَّرائع ، والتَّنبيه على طرق الحجج العقليّات ، والردّ على فرق الأمم؛ ببراهين قويّة ، وأدلّة بيّنة سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد ، رام المتحذلقون بَعْدُ أن ينصبوا أدلّة مثلها فلم يقدروا عليها)) [٢] .

ويزيد هذا الأصل تقريرًا وبيانًا وتأصيلاً الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – فيقول : ((والكتاب والسُّنَّة يدلّ بالأخبار تارة ، ويدلّ بالتّنبيه تارة ، والإرشاد والبيان للأدلّة العقليَّة تارة ، وخلاصة ما عند أرباب النَّظر العقليّ في الإلهيّات

---

(١) هذا النَّوع من الاستدلال ؛ النَّاس فيه طرفان ، ووسط ، فمنهم من ينفيها مطلقًا ، ومنهم من يثبتها ويغلو فيها ويرفعها فوق منزلتها ، مثل : ((المتكلّمة والمتفلسفة ، تعظّم الطُّرق العقليّة ، وكثير منها فاسد متناقض ، وهم أكثر خلق الله تناقضًا واختلافًا ...)) مجموع الفتاوى (١١ /٣٣٨) ، والصّفديّة (٢ /٢٧) ، ودرء التَّعارض (٨ /٢٤) ، ومجموعة الرَّسائل والمسائل (٥ /١٩) .

(٢) الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى (١ /٣٩٠ – ٣٩١) ، وانظر : درء التَّعارض (٧ /٢٤١) لابن تَيْمِيَّة ، وإيثار الحقّ على الخلق (ص ١٠٧) لابن الوزير فما بعدها في بحث ماتع قرّر فيه تضمّن القرآن العظيم للدلائل العقليَّة على الأصول العقديّة الكبار .

من الأدلّة اليقينيّة ، والمعارف الإلهيّة ، قد جاء به الكتاب والسُّـنَّة ، مع زيادات وتكميلات لم يهتد إليها إلاَّ من هداه الله بخطابه ، فكان فيما جاء به الرَّسـولُ ﷺ من الأدلّة العقليَّة والمعارف اليقينيّة فوق ما في عقول جميع العقلاء من الأوّلين والآخرين)) [1] .

الوجه الأَوَّل : ((أنَّ الحيّ إذا لم يتَّصف بالكلام لزم اتّصافه بضدّه : كالسّكوت والخرس ، وهذه آفة يتنزّه الله عنها ، فتعيَّن اتّصافه بالكلام ، وهذا المسلك يسلكونه في إثبات كونه سميعًا بصيرًا أيضًا ؛ فإنَّه إذا كان حيًّا ولم يكن سميعًا بصيرًا لزم اتّصافه بضدّ ذلك من الصَّمم والعمى)) [2] .

الوجه الثَّاني : ((أنَّ الكلام صفة كمال . وهنا من جعله صفة لا تتعلّق بمشيئته واختياره : جعله كالعلم والقدرة ، ومن قال : إنه يتعلّق بمشيئته وقدرته ، وقال : كونه متكلّمًا يتكلّم إذا شاء صفة كمال ...)) [3] .

---

(١) منهاج السُّـنَّة النَّبويَّة (٢ /١١٠) . وانظر : مجموع الفتاوى (٣ /٢٩٦ ، ٣٣١ – ٣٣٢) ، درء التَّعارض (١ /٢٨) و (٧ /٢٨٩ ، ٣٥٢) و (٨ /٢٤ – ٣٩) ، والصَّواعق المرسلة (٣ /٩٠٨ – ٩٠٩) لابن القيّم .

(٢) شرح الأصبهانيَّة (ص ٥٠٧) ، وانظر : الصّفديّة (٢ /٣٧) ، ومجموع الفتاوى (٢ /١٧٣) لابن تَيْمِيَّة .

(٣) شرح الأصبهانيَّة (ص ٥٠٧) .

الوجه الثَّالث : ((أن يقال : المخلوق ينقسم إلى متكلِّم وغير متكلِّم ، والمتكلِّم أكمل من غير المتكلِّم ، وكلّ كمال هو في المخلوق فهو مستفاد من الخالق ، فالخالق به أحقّ وأولى ، ومن جعله لا يتكلَّم فقد شبَّهه بالموات والجماد الَّذي لا يتكلَّم ، وذلك صفة نقص ؛ إذ المتكلِّم أكمل من غيره)) [1] .

ثمَّ ساق الإمام ابن تَيْمِيَّة ثلاثة أدلّة سمعيَّة تتضمَّن هذا الوجه في الاستدلال بالكمال في المخلوق على أنَّ الخالق أولى وأحقّ بالكمال المطلق الَّذي لا نقص فيه ؛ قال تعالى : {أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ } [الأعراف : ١٤٨] ، وقوله : {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [النَّحل : ٧٦] ، وقوله : {أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [طه : ٨٩] .

إذا عرف ما قرّرت سابقًا من إثبات كون الباري ﷻ متَّصفًا بصفة الكلام أزلاً وأبدًا ، يتكلَّم بمشيئته متى شاء وكيف شاء ، يلزم التَّنبيه إلى أنَّ نفي هذا الأصل العظيم ((قيام الكلام بذات الله تعالى)) يلزم منه لوازم باطلة لا يجوز التزامها فضلاً عن اعتقادها ، فمنها :

---

(١) شرح الأصبهانيّة (ص ٥٠٨) ، وانظر : الصّفديّة (٢ /٦٦) ، ومفتاح دار السَّعادة (٢ /١٠٥١) .

١ – لا يمكن لملتزم هذا إثبات التَّكليف على العبد أبدًا .

٢ – إبطال الشَّرائع جملة .

٣ – إنكار الأمر والنَّهي ، والوقوع في التَّناقض ؛ وذلك بإثبات الأمر والنَّهي ، والإيجاب والتَّحريم ، بلا أمر ولا نهي ، وهذا من أخبث أقوال القدريَّة وشرِّهم مقالة .

٤ – ويلزم من ذلك : جعل المخلوق ذا الصِّفات الحسنة من العلم والقدرة والكلام ، أكمل من الخالق البارئ المصوِّر ، تعالى الله عن هذا الزُّور علوًّا كبيرًا .

٥ – ويلزم من هذا – أيضًا – تشبيه الله – تبارك وتعالى – بالأصنام والجمادات والموات ، كالعجل الَّذي لا يتكلّم ، ولا يهديهم سبيلاً ، ففرّ القوم من إثبات الصِّفات له تعالى حذرًا من التَّشبيه ، فوصفوه بالنَّقص وشبّهوه بالجمادات.

٦ – ويلزم – أيضًا – أن لا يكون القرآن العربيّ كلام الله ، بل يكون كلامًا للمحلّ الَّذي خلق فيه ، كما زعموا في القرآن أَنَّهُ خلق في جبريل عليه السلام أو محمَّد ﷺ ، أو الهواء ، وكلام الله موسى عليه السلام خلقه في الشَّجرة ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

٧ – الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه .

٨ – فيه تبديل للحقيقة الَّتي فطر الله عليها عباده ، واللغة الَّتي اتّفق عليها بنو آدم ، أنَّ ما من متكلِّم إلاَّ ويقوم به الكلام ، ويتَّصف به .

٩ – يلزم المعطِّل لصـــفة الكلام ، أَنَّهُ لم يؤمن بالله تعالى ، الَّذي دعت إليه الرُّسل الكرام [١] .

وبهذا يدرك العبد المســـلم المتّبع الموحّد ؛ حجم الانحراف في هذا الباب وخطورته على فِطَرِ النَّاس وتوحيدهم ، ((فليتدبّر العاقل ما وقع في هذه الأصول من الاضـــطراب ، وليحمد الله على الهداية ، وليقل : ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الَّذين ســـبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربّنا إنّك رؤف رحيم)) [٢] .

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى (١٢ /٢٨٥) . والتّدمريّة (ص ٣٠) ، و ((المسألة المصريّة)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /١٨٣ – ١٨٤ ، ٢٢٦) ، و ((الكيلانيّة)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٣٥٦ ، ٣٧٢ – ٣٧٣) ، ودرء التَّعارض (٢ /٦١ – ٦٢ ، ١١١ – ١١٣) ، والتّسعينيّة (١ /٢٧٢ ، ٢٩٨ – ٣٠٠) (٢ /٣٧٥) فما بعدها ، ومنهاج السُّنَّة (١ /٣٧٣) (٤ /١٢١) لابن تَيْمِيَّة ، ومفتاح دار السَّعادة (٢ /٩٨٥ – ٩٨٦) ، و ((التبيان في أيمان القرآن)) (ص ٢٤٨) ، والصَّواعق المرسلة (٣ /١٠١٢) لابن القيِّم .

(٢) التّسعينيّة (٢ /٤٩٣ – ٤٩٤) لابن تَيْمِيَّة . وهناك لوازم مشابهة لهذه ، لنفاة الصِّفات ، ومنها صفة الكلام . انظر : الصَّواعق المرسلة (١ /٣١٤ – ٣١٦) لابن القيِّم .

المبحث الثّالث
أقوال الطَّوائف في كلام اللّه تبارك وتعالى «القرآن»

المنحرفون في كلام الله – تبارك وتعالى – كالقرآن وغيره من الكتب المنزَّلة أَوَّل ما ظهر من مكذّبي الرُّسل ، والمنكرون للنّبوّة ابتداءً ، ثُمَّ لمَّا ظهر نور الوحي ، وَطُمِسَتْ ظلمات الشِّرك والتَّكذيب ، ومضى عصر النُّبوَّة ، والخلافة الرَّاشدة ، ودخلت المائة الثَّانية من الهجرة ، برزت مقالة التَّعطيل لصفات الله تعالى ، ومنها ((صفة الكلام)) على يد الجعد بن درهم ، الَّذي قُتل بفتوى من علماء التَّابعين على يد خالد بن عبد الله القسري أمير العراق بواسط في خطبة مشهورة في عيد الأضحى ، يقول الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – : ((وكان قد ظهر هؤلاء الَّذين هم فروع المشركين ومن اتّبعهم من مبدّلة الصابئين ، ثمَّ مبدلة اليهود والنَّصارى في أوائل المائة الثَّانية ، وأوائل الثَّالثة ، في إمارة أبي العبَّاس الملقّب ب– ((المأمون)) ، بسبب تعريب كتب الرُّوم المشركين الصَّابئين ؛ الَّذين كانوا قبل النَّصارى ، ومن أشبههم من فارس والهند ، وظهرت علوم الصّابئين المنجّمين ونحوهم)) [1] .

---

(١) ((قاعدة في القرآن وكلام الله)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٣١) ، وانظر : المصدر نفسه (١٢ /٢٦ – ٢٧) ، و ((الكيلانيّة)) ضمن المصدر نفسه (١٢ /٣٥٨) و (١٢ /٥٠٢ – ٥٠٣) ، و (١٣ /١٨٣) و (٢٨ /٤٩٠) ، وجامع الرَّسائل (٢ /١٠) ، وفتح الباري (١٣ /٣٥٨) لابن حجر .

واختلف أهل العلم بالمقالات والفرق في عدد الأقوال في القرآن ؛ فمنهم من حكى في المسألة أربعة أقوال ، ومنهم من جعلها خمسة أو ستّة ، وآخرون عدّوا سبعة أقوال ، ولم يتفطّن هؤلاء جميعًا ولم يذكروا قول السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين [1] .

القول الأوَّل :

((قول من يقول : إنَّ كلام الله : ما يفيض على النُّفوس من المعاني الَّتي تفيض ؛ إمَّا من العقل الفعَّال عند بعضهم ، وإمَّا من غيره ؛ وهذا من قول الصَّابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله ، ومن دخل مع هؤلاء من متصوّفة الفلاسفة ومتكلّميهم كأصحاب وحدة الوجود)) [2] .

---

(١) انظر: ((مسألة الأحرف الَّتي أنزلها الله على آدم)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٤٢ – ٥٣) ، و ((المسألة المصريّة في القرآن)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /١٦٢ – ١٦٣) ، ومنهاج السُّنَّة (٢ /٣٥٨ – ٣٥٩) ، ومقالات الإسلاميين (ص ٥٨٢) فما بعدها ، للأشعري ، ودرء التَّعارض (٢ /٣٠٤) ، وشرح العقيدة الطحاوية (١٢٨) ، وفتح الباري (٣ /٤٩٣) . يقول ابن تَيْمِيَّة : ((فليتدبّر المؤمن العالم كيف فرق هذا الكلام المحدث المبتدع بين الأمّة ، وألقى بينها العداوة والبغضاء ...)) درء التَّعارض (٢ /٣٠٦) . وعن كتب الفلاسفة انظر على سبيل المثال / تسع رسائل في الحكمة (ص ٩٧) لابن سينا .

(٢) منهاج السُّنَّة (٢ /٣٥٩) ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٢ /٢٣ ، ١٦٣ ، ٣٥١) ، ودرء التَّعارض(٢ /٣٠٥)، والجواب الصَّحيح (٣ /٣١١)، ومختصر الصَّواعق (٢ /٤٠٩) .

القول الثَّاني :

((قول من يقول : إنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه ؛ وهذا هو قول هذا الإمامي وأمثاله من الرَّافضة المتأخّرين [1] والزّيديّة والمعتزلة والجهميّة)) [2] .

وهذان القولان في كلام الله – تبارك وتعالى – ضلال مبين ، ف– ((السَّلف والأئمَّة ضلَّلوا ، بل كفَّروا من قال : إنَّ الله خلق كلامًا في الشَّجرة ، أو الهواء ، فسمعه موسى عليه السلام ، كما يقول الجهميَّة من المعتزلة وغيرهم .

ومعلوم أنَّ هذا أقرب إلى أقوال الرُّسل من قول هؤلاء المتفلسفة الَّذين يزعمون أنَّ ذلك فيض فاض من العقل ... فإنَّ هذا ليس من مقالات أهل الملل لا سنّيهم ولا بدعيّهم ، لكن من مقالات الصابئة المتفلسفة ، الَّذين ليس عندهم

---

(١) يقصد ابن تَيْمِيَّة ابن المطهّر الحلّي صاحب ((منهاج الكرامة)) ، أمَّا المتقدّمون من الرَّافضة فَهُمْ على مقالة التَّشبيه . انظر : منهاج السُّنَّة (١ /٣٠٦ – ٣٠٨ ، ٣٦٧) ، ومقالة التَّشبيه (١ /١٧٣ – ١٧٤) د. جابر إدريس ، وتاريخ تأثّر المذهب الرَّافضيّ بالمذهب الاعتزالي يرجع إلى أواخر المائة الثَّالثة ، والمائة الرَّابعة على يد المفيد والموسوي والطّوسي . منهاج السُّنَّة (٢ /١٠١) ، وأنظر من كُتب المعتزلة / شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٨) للقاضي عبد الجبّار .

(٢) منهاج السُّنَّة (٢ /٣٥٩ – ٣٦٠) ، وانظر : الجواب الصَّحيح (٤ /٣٣٩) ، ومجموع الفتاوى (١٢ /١٦٣) (١٢ /١٤٩) ، ودرء التَّعارض (٢ /٣٠٤) ، وجامع الرَّسائل (٢ /٣ ، ٧) ، ومختصر الصَّواعق (٢ /٤٠٩) ، وعن أصل مقالة التَّعطيل انظر : الفتوى الحمويّة الكبرى (ص ٢٢٥ – ٢٢٨) ، والصّفديّة (٢ /١٦٦) ، وشرح الأصفهانيّة (ص ٧٧) لابن تَيْمِيَّة .

في الحقيقة لله كلام ، ولا ملائكته تنزل بكلامه ، بل عندهم لا تمييز بين موسى وهارون ، ولا بينهما وبين فرعون)) [1] .

القول الثَّالث :

((قول من يقول : إنَّه معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنَّهي والخبر والاستخبار ، وإن عبّر عنه بالعربيَّة كان قرآنًا ، وإن عبّر عنه بالعبريّة كان توراةً)) [2] .

القول الرَّابع :

((قول من يقول : إنَّه حروف وأصوات أزليّة مجتمعة في الأزل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث . ذكره الأشعريّ في المقالات عن طائفة ، وهو الَّذي يُذكر عن السّالميّة ونحوهم .

---

(١) بغية المرتاد (ص ٣٨٣ – ٣٨٤) لابن تَيْمِيَّة ، وانظر : مجموع الفتاوى (٥ /٥٤٦) و (٦ /٥٤٠) و (١٠ /٣٩٨) ، وجامع الرسائل (١ /١٦٢) ، ودرء التَّعارض (٢ /٣٠٤) و (٥ /٣٥٣) ، ومنهاج السُّنَّة (٢ /٣٥٩) ، والردّ على المنطقيين (٥٢٠) لابن تَيْمِيَّة .

(٢) منهاج السُّنَّة (٢ /٣٦٠) ، وانظر : درء التَّعارض (٤ /١١١ ، ١٢٧) ، ومجموع الفتاوى (١٢ /١٦٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٢) ، وجامع الرَّسائل (٢ /٤ ، ٦) ، ومختصر الصَّواعق (٢ /٤١٠ – ٤١١) ، وفتح الباري (١٣ /٤٩٣) ، وانظر من كتب الأشاعرة / الإنصاف (ص ٣٨ – ٤٠) للباقلاّني ، والإرشاد (ص ٩٩) فما بعدها و (ص ١٠٩ – ١٣٥) للجويني ، والأربعين في أصول الدِّين (١ /٢٤٥) للرَّازي .

وهؤلاء قال طائفة منهم : إنَّ تلك الأصوات القديمة هي الصَّوت المسموع من القاري ، أو هي بعض الصَّوت المسموع من القارئ .

وأمَّا جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك ، قالوا : هذا مخالف لضرورة العقل)) [1] .

القول الخامس :

((قول من يقول : إنَّه حروف وأصوات ، لكن تكلَّم به بعد أن لم يكن متكلِّمًا ، وكلامه حادث في ذاته ، كما أنَّ فعله حادث في ذاته بعد أن لم يكن متكلِّمًا ولا فاعلاً .

وهذا قول الكرَّاميَّة وغيرهم ، وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشِّيعة . وهؤلاء منهم من يقول : هو حادث وليس بمحدث ، ومنهم من يقول : بل هو محدث أيضًا ، وقد ذكر القولين الأشعريّ عنهم في (المقالات) ... والكرَّاميَّة يقولون : حادث لا محدث)) [2] .

---

(١) المصدر نفسه (٢ /٣٦٠ – ٣٦١) ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٢ /١٧٦) ، وجامع الرَّسائل (٢ /٤ ، ٦) ، ومختصر الصَّواعق (٢ /٤١٢) .

(٢) المصدر نفسه (٢ /٣٦١) ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٢ /١٧٢ – ١٧٣) ، ومختصر الصَّواعق (٢ /٤١١ – ٤١٢) ، ومقالات الإسلاميين (ص ٤٠) للأشعريّ ، ونقض كلام المفترين (ص ١١٥) .

القول السَّادس :

((قول من يقول : كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته . ثمَّ من هؤلاء من يقول : لم يزل ذاك حادثًا في ذاته ، كما يقوله أبو البركات صاحب (المعتبر) وغيره ، ومنهم من لا يقول بذلك ، وأبو عبد الله الرَّازيّ يقول بهذا القول في مثل (المطالب العالية))) [1] .

القول السَّابع :

((قول من يقول : كلامه يتضمَّن معنًى قائمًا بذاته ، وهو ما خلقه في غيره . ثمَّ من هؤلاء من يقول في ذلك المعنى بقول ابن كُلاَّب ، وهذا قول أبي منصور الماتريدي .

ومنهم من يقول بقول المتفلسفة ، وهذا قول طائفة من الملاحدة الباطنيّة ؛ متشيّعهم ومتصوّفهم)) [2] .

---

(١) المصدر نفسه (٢ /٣٦٢) ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٢ /٢٠٥ - ٢٠٦) و (١٦ /٣٨٣) و (١٧ /١٦٦) ، ودرء التَّعارض (٣ /٣٢٣) ، والصّفديّة (٢ /١١١) ، ومنهاج السُّنَّة (١ /٤٢٢) ، وعن مذهب الرَّازي انظر : الأربعين في أصول الدِّين (١ /٢٤٧ - ٢٥٢) ، والمطالب العالية (٣ /١٢٧ - ١٣١) للرّازي .

(٢) المصدر نفسه (٢ /٣٦٢) ، وانظر : كتاب التَّوحيد (ص ٥٧ - ٥٩) للماتريدي ، وتبصرة الأدلّة (ص ٢٥٩ ، ٣٠١) للنَّسفيّ .

القول الثَّامن :

((قول من يقول : كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذّات وبين ما يخلقه في غيره من الأصـــوات ، وهذا قول أبي المعالي ومن اتّبعه من متأخّري الأشعريّة)) [١] .

قال ابن القيّم – رحمه الله – : بعد أن ذكر أقوال أهل الأرض في كلام الله تعالى : ((والبراهين العقليَّة ، والأدلّة النَّقليّة شـــاهدة ببطلان هذه المذاهب كلّها ، وأنَّهَا مخالفة لصريح العقل والنَّقل ، والعجب أَنَّها هي الدائرة بين فضلاء العالم ، لا يكادون يعرفون غيرها)) [٢] .

وَفَرَّعَ أهل البدع فروعًا نتجت عن تلك الأقوال المبتدعة الَّتي ما أنزل الله بها من سـلطان ، ووصـف الإمام تلك الفروع الفاسـدة وكثرة انتشـارها ، فقال : ((والجهميّة هم نفاة صفات الله المتّبعون للصابئة الضالّة ، وصارت فروع التجهّم تجول في نفوس كثير من النَّاس)) [٣] ، فمن ذلك :

---

(١) المصدر نفسه (٢ /٣٦٢) ، وانظر : الإرشاد (ص ٩٩ – ١٣٧) للجويني .

(٢) مختصر الصَّواعق (٢ /٤١٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ /٣٥٨) ، وانظر : مجموعة الرَّسائل والمسائل (١ /٢٠٨) ، والردّ على الشَّـــاذلي (ص ١٧٤) ، وشـــفاء العليل (ص ١١٣) . ووصـــل الحال بأقوام إلى الحرج في نفوسهم من نصوص الصِّفات وسائر أبواب الاعتقاد ، حتَّى قال ابن القيّم : ((سـبحان الله ! كم من حزازة في نفوس كثير من النَّاس من النّصـــوص وبودّهم أن لو

١ – أنَّ كلام الله لا يتكلّم به غيره ، فإنَّه عين القائم بنفسه . ومحال قيامه بغيره ، فلم يقل أحد قطّ كلام الله ولا قرأه .

٢ – أنَّ هذا الَّذي جاء به الرَّسـولُ ﷺ ليس كلام الله إلاَّ على سـبيل المجاز .

٣ – أَنَّهُ لا يقال إنَّ الله تكلَّم ولا يتكلَّم ، ولا قال ولا يقول ، ولا خاطب ولا يخاطب ، فإنَّ هذه كلّها أفعال إراديّة تكون بالمشيئة ، وذلك المعنى صفة أزليّة لا تتعلّق بالمشيئة .

٤ – أَنَّهم قالوا : لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض ، فألفاظ النُّزول والتَّنزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم [١] .

٥ – أنَّ القرآن القديم لا نصف له ، ولا ربع ، ولا خمس ، ولا عشر ، ولا جزء له أَلْبَتَّة .

٦ – أنَّ معنى الأمر هو معنى النَّهي ، ومعنى الخبر والاستخبار ، وكلّ ذلك معنى واحد بالعين .

لم ترد ؟ وكم من حرارة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ؟)) . الرِّسالة التَّبوكيّة (ص ٢٥) .

(١) يقول الجويني : ((ثمّ ليس المعنى بالإنزال حطّ شيء من عُلوّ إلى سفل ؛ فإنَّ الإنزال بمعنى الانتقال ...)) الإرشاد (ص ١٣٥) ؛ وخالف وأهل مذهبه الأشاعرة اللّغة والعقل والوحي كما قرّرت سابقًا .

٧ – أنَّ نفس التَّوراة هي نفس القرآن ، ونفس الإنجيل والزّبور ، والاختلاف في التأويلات فقط .

٨ – أنَّ هذا القرآن العربي تأليف جبرائيل أو محمَّد ، أو مخلوق خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ ، فنزل به جبرائيل من اللوح لا من الله على الحقيقة كما هو معروف من أقوالهم .

٩ – أنَّ ذلك العين القديم يجوز أن يتعلّق به الإدراكات الخمس ، فَيُسْمَعُ ويرى ويشمّ ويذاق ويلمس .

إلى غير ذلك من الفروع الباطلة سمعًا وعقلاً وفطرة [١] .

فمن تأمّل هذه الفروع الفاسدة ، والثِّمار النّكدة الَّتي أثمرتها تلك الأقوال الشَّنيعة في القرآن العظيم وسائر الكتب المنزلة ، وجدها تتضمّن شيئًا من الردّ الإجمالي فهي تنصّ على أنَّ ما جاءت به الرُّسل الكرام ليس هو كلام الله إلاَّ على سبيل المجاز .

وتنصّ – أيضًا – على عدم وجود قرآن نزل إلى الأرض ، فما ورد من ألفاظ النُّزول لا حقيقة لشيء منها ، ومن أقرّ بالنّزول فلا فرق عنده بين القرآن والتَّوراة والإنجيل والزّبور .

---

(١) مختصر الصواعق (٢ /٤١٣ – ٤١٤) لابن القيّم ، وانظر وقارن : فتاوى ورسائل (١ /٢٣٣ – ٢٣٤) سماحة العلاّمة محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ .

والكلام على هذه الفروع الفاسدة مبثوث في مصنّفات الإمام ابن تَيْمِيَّة وتلميذه ابن القيّم ، فمن ذلك . انظر : درء التَّعارض (٢ /١١١ – ١١٥ ، ١٧٥) ، ومجموع الفتاوى (١٢ /٣٠ ، ٣٥٨) و (٦ /٣١٢) ، والنبوّات (١ /٥٨٦) ، والصَّواعق المرسلة (٤ /١٤٢٣ ، ١٤٢٧) .

وتنصّ أقوالهم – أيضًا – على أنَّ الكلام صفة ذات لا صفة فعل يتعلّق بمشيئته وقدرته ، عند بعضهم ، وعند آخرين هو : صفة فعل ، لكن الفعل عندهم هو المفعول المخلوق بمشيئته وقدرته .

وتتضمَّن تلك المقالات البدعيّة – أيضًا – أنَّ الحقيقتان المختلفتان تكون شيئًا واحدًا ، فجوّزوا أن يكون العلم هو القدرة ، والقدرة هي الإرادة ، أو تكون الصِّفات كلّها شيئًا واحدًا ؛ لأنّ الأمر والنّهي والخبر والاستخبار شيئًا واحدًا .

القول التَّاسع :

وهو قول الأنبياء وأتباعهم من الحواريين والأصحاب ومن تبعهم إلى ما شاء الله ؛ أنَّ الله متَّصف بالكلام ، وكلامه قائم بذاته ، بمشيئته وقدرته .

والأدلّة من القرآن العزيز ، والسُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة ، وأقوال سلف الأمّة كثيرة تفوق الحصر ، مبثوثة في دواوين الإسلام ، والمصنَّفات المسندة في العقائد ، بأنّ الله – تبارك وتعالى – يتكلّم بمشيئته وقدرته ، وكلامه ليس بمخلوق ، بل كلامه صفة له ، قائمة بذاته ﷻ [1] . وإليك طرفًا من تلك الأدلّة والأقوال على سبيل الاختصار :

---

(١) انظر : الردّ على الجهميّة والزَّنادقة (ص ١٣٨) للإمام أحمد ، ونقض الإمام أبي سعيد الدارمي (١ /٥٦٨) ، الإيمان الكبير (ص ٣٣٧) لابن تَيْمِيَّة ، وشرح العقيدة الطحاويّة (ص ١٣٩) .

أوَّلاً : الأدلّة القرآنيَّة :

١ – قال تعالى : {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [النَّحل : ٤٠] ، وقوله : {إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } [ياسين : ٨٢] .

((ف– (إذا) تخلّص الفعل للاستقبال ، و (أن) كذلك ، و (نقول) فعل دالّ على الحال والاستقبال ، و (كُن) حرفان يسبق أحدهما الآخر ، فالذي اقتضته هذه الآية هو الَّذي في صريح العقول والفطر)) (١) .

٢ – قال تعالى : {وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء : ١٦] ، ((سواء كان الأمر هنا أمر تكوين أو أمر تشريع ، فهو موجود بعد أن لم يكن)) (٢) .

٣ – قال تعالى : {وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ } [الأعراف : ١١] ، ((وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره)) (٣) .

---

(١) مختصر الصَّواعق (٢ /٤١٤) ، وانظر : الردّ على الجهميَّة ((ضمن عقائد السّلف)) (ص ٣٢٤) للدّارمي .

(٢) المصدر نفسه (٢ /٤١٤) ، وانظر : الردّ على الجهميَّة ((ضمن عقائد السّلف)) (ص ٣٢٤) للدّارمي .

(٣) المصدر نفسه (٢ /٤١٤) ، وانظر استدلالاً مقاربًا لهذا في جامع الرَّسائل (٢ /١٠ – ١٢) ، ومجموع الفتاوى (١٢ /١٣٠) لابن تَيْمِيَّة .

٤ – قال تعالى : {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ } [الأعراف : ١٤٣] .

((فكم من برهان يدلّ على أنَّ التكلّم هو الخطاب وقع في ذلك الوقت)) [(١)] .

٥ – قال تعالى : { فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } [القصص : ٣٠] . ((والذي ناداه هو الَّذي قال : {إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ })) [(٢)] .

٦ – قال تعالى : {يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ} [ق : ٣٠] ، ((ومحال أن يقول سبحانه لجهنّم : هل امتلأت ، وتقول : هل من مزيد قبل خلقها ووجودها)) [(٣)] .

---

(١) المصدر نفسه (٢ /٤١٤) ، وانظر : الردّ على الزّنادقة والجهميَّة ((ضمن عقائد السّلف)) (ص ٧٨) للإمام أحمد ، وفتح الباري (١٣ /٤٥٢) لابن حجر .

(٢) المصدر نفسه (٢ /٤١٤) ، وانظر : درء التَّعارض (٢ /١١٨ ، ٢٢١ ، ٢٩٢) .

(٣) المصدر نفسه (٢ /٤١٤) ، وانظر : درء التَّعارض (٢ /٨٧) .

ثانياً : الأدلّة من السُّنَّة النَّبويَّة :

الوحي الَّذي نزل على قلب محمَّد ﷺ قرآنًا كان ، أو حديثًا يزخر بالمئات بل الألوف من النّصـوص الدالَّة على ما تقرّر من عقيدة أهل السُّـنَّة والجماعة في صـفة الكلام ، وأنّ الكلام صـفة قائمة بذات الله تعالى ، يتكلّم بمشـيئته وقدرته متى شـاء وكيف شـاء ، ولمن شـاء . يقول ابن القيّم – رحمه الله – : ((فكلّ آية وكلّ حديث إلهي ، وكلّ حديث فيه الإخبار عمَّا قال الله تعالى أو يقول ، وكلّ أثر فيه ذلك ، إذا اسـتُقْرِئت زادت على هذا العدد ، ويكفي أحاديث الشَّـفاعة ، وأحاديث الرؤية ، وأحاديث الحسـاب ، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسـله وأهل الجنَّة ، وأحاديث تكليم الله لموسـى ، وأحاديث تكلّمه عند النُّزول الإلهي ، وأحاديث تكلّمه بالوحي ، وأحاديث تكليمه للشُّـهداء ، وأحاديث تكليم كافّة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة ، وأحاديث تكليمه للشُّـفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشَّـفاعة ، إلى غير ذلك ؛ إذ كلّ هذا وأمثاله وأضعافه مجاز لا حقيقة له !! سبحانك هذا بهتان عظيم .

بل نُشـهدك ونشـهد ملائكتك وحملة عرشـك وجميع خلقك أنّك أحقّ بهذه الصـفة وأولى من كلّ أحد ، وأنّ البحر لو أمدّه من بعده سـبعة أبحر ، وكانت أشـجار الأرض أقلامًا يكتب بها ما تتكلّم به ، لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك ، وأنّك لك الخلق والأمر ، فأنت الخالق حقيقة)) [1] .

---

(١) مختصر الصَّواعق (٢ /٤١٥) لابن القيّم ، وهذا على حقيقته وظاهره ، خلافًا لمن زعم أنَّ التكلّيم من الله هو خلق إدراك في المسـتمع . انظر : درء التَّعارض (٢ /٣٠٥ – ٣٠٦) ، ومجموع الفتاوى (١٢ /١٥٢) .

وسأُورد من بحر الأدلّة المتلاطم ، بضعة أدلّة ، تفي بالمقصود ، وتدلّ على غيرها ، وبالله التَّوفيق وعليه التُّكلان :

١ – روى البخاريّ بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ((إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ؛ ضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا ؛ خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ ، قَالَ عَلِيٌّ . وَقَالَ غَيْرُهُ : صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ . فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا - لِلَّذِي قَالَ - : الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ ...)) الحديث [١] .

قال الشَّيخ محمَّد بن سليمان التَّميميّ – رحمه الله – في المسألة الثَّامنة عشرة في كتاب التَّوحيد : ((وفيه قبول النُّفوس للباطل . يتعلّقون بواحدة ، ولا يعتبرون بمائة)) [٢] .

ثمَّ علَّق الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن فقال : ((وفي هذه الأحاديث وما بعدها إثبات علوّ الله تعالى على خلقه ، على ما يليق بجلاله وعظمته ، وأَنَّهُ تعالى لم يزل متكلّمًا إذا شاء ، بكلام يسمعه الملائكة . وهذا قول أهل السُّنَّة

---

(١) كتاب التَّفسير ، باب : { إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ } ، برقم (٤٧٠١) (فتح ٨ /٢٣١) ، وبوّب له إمام الأئمَّة ابن خزيمة فقال : ((باب (٣٤) صفة تكلّم الله بالوحي وشدّة خوف السَّموات منه ، وذكر صعق أهل السَّموات لله ﷻ)) . كتاب التَّوحيد (١ /٣٤٨) .

(٢) فتح المجيد (ص ٢٢٧) للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن . وانظر عن الاستدلال بالآية على المقصود : التسعينيّة (٢ /٥٢٣ – ٥٢٤) .

قاطبة ســـلفًا وخلفًا ، خلافًا للجهميّة ، ونفاه المعتزلة . فإيّاك أن تلتفت إلى ما زخرفه أهل التَّعطيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل)) [1] .

٢ – روى البخاري بســـنده عن عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَـازِبٍ ﷺ قَـالَ : قَـالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ : ((يَا فُلاَنُ ، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِـــكَ فَقُلِ : اللَّهُمَّ أَسْـلَمْتُ نَفْسِـي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْـتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ؛ رَغْبَـةً وَرَهْبَـةً إِلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَـــلْتَ ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ فِي لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا)) [2] .

٣ – روى البخاري بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ حديث الشّفاعة الطَّويل ، وكلام الربّ جلّ وعلا للأنبياء يوم القيامة ، وفيه : ((... فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا ، فَأَسْـــتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي ، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُـرُنِي الآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَـــاجِدًا ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَـــكَ وَقُلْ يُسْـــمَعْ لَكَ ، وَسَـــلْ تُعْطَ ، وَاشْـــفَعْ تُشَـــفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَـــعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَـاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَـكَ ، وَقُلْ يُسْـمَعْ

---

(١) فتح المجيد (ص ٢٢٧ – ٢٢٨) .

(٢) كتاب التَّوحيد ، باب قول الله تعالى : { أَنْزَلَـهُ بِعِلْمِـهِ وَالْمَلاَئِكَـةُ يَشْـــهَدُونَ } ، برقم (٧٤٨٨) (فتح ١٣ /٤٧١) ، وانظر طرفًا من الأدلّة أيضًـــا : كتاب التَّوحيد (٢ /١٦٨ – ١٦٩) لابن منده

لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ...)) [1] .

يقول الشَّيخ عبد الله الغنيمان : ((المقصود منه هنا : إثبات كلام الله تعالى لرسوله ﷺ في الموقف ، فإنَّ فيه محاورة بين ربِّ العالمين جلّ وعلا ، وبين عبده ورسوله محمَّد ﷺ .

وهذا واضح الدّلالة على المراد ، من أَنَّهُ تعالى يتكلَّم ويخاطب من يشاء من عباده يوم القيامة ، وإذا ثبت ذلك ؛ دلّ على أنَّ كلامه بمشيئته ، وأَنَّهُ متى شاء تكلّم ، يوم القيامة وقبلها ، وهذا من ضروريّات دين الإسلام ، لا ينكره إلاَّ من هو دخيل فيه ، أو زنديق قد تلبّس بثوب الإسلام لأجل النّيل منه. أو ضالّ لعبت به الأهواء، واجتالته شياطين الإنس والجنّ بعيدًا عن الحقّ والهدى)) [2] .

٤ – روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا

---

(١) كتاب التَّوحيد ، باب كلام الربّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، برقم (٧٥١٠) (فتح ١٣ /٤٨١ – ٤٨٢) .

(٢) شرح كتاب التَّوحيد (٢ /٤٠٥ – ٤٠٦) .

وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)) [1] .

يقول الشَّيخ عبد الله الغنيمان : ((والحديث واضح الدّلالة على مقصود الترجمة ؛ ففيه التَّصريح بأنّ الله تعالى يقول لأهل الجنَّة ، فيسمعون قوله ، ويجيبونه ، ويخاطبهم ويخاطبونه ، وقد علم أنَّ ذلك يتكرّر ، وسبق أنَّ كلام الله تعالى بمشيئته ، فكلَّما شاء أن يتكلَّم تكلَّم ، ويكلِّم من شاء من خلقه)) [2] .

٥ – روى البخاري بسنده عن ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ : أَنْ لاَ تَكَلَّمُوا فِي الصَّلاَةِ)) [3] .

وقد سمَّى الله – تبارك وتعالى – القرآن (حديثًا) و (محدثا) فقال : {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ} [الزُّمر : ٢٣] ، وقال : {وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا}

---

(١) كتاب التَّوحيد ، باب كلام الربّ مع أهل الجنَّة ، برقم (٧٥١٨) (فتح ١٣ /٤٩٦) . ولم يتعرّض الحافظ – رحمه الله – في الفتح لمناسبة الحديث للتّرجمة ، وأنّ كلام الله يكون بمشيئته وقدرته ، قائم به سبحانه وتعالى ، وإنما عرج لمسائل أخرى فيها فوائد جمّة ، وأعرض عَمَّا لا يتّفق مع عقيدة الأشاعرة ؛ لأنَّهُ ينقل عن ابن بطّال والكرماني .

(٢) شرح كتاب التَّوحيد (٢ /٤٦٧) .

(٣) كتاب التَّوحيد ، باب قول الله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } ، برقم (بدون) (فتح ١٣ /٥٠٥) .

[النِّساء : ٨٧] ، وقال : { مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ } [الأنبياء : ٢] ، وهذا ما صنعه الإمام البخاريّ في هذا الموضع من كتاب التَّوحيد ، وجعله دليلاً على إحداث الله من أفعاله وكلامه ما يشاء ، وقت ما يشاء ، فهو حادث ومحدث ، بمعنى الجديد الَّذي تكلّم به بعد كتبه السَّابقة ، فحدثه لا يشبه حدث المخلوقين [١] .

ثالثاً : أقوال السَّلف ونصوص العلماء :

وهي بحمد الله تعالى كثيرة ، قد سطّرها أئمَّة الحديث والسُّنَّة في مصنَّفاتهم المعروفة في شرق البلاد وغربها ، مَنْ طالعها من أهل الحقّ والاتّباع ؛ زادته هدى وبصيرة ، ومن نظر فيها من أهل الزَّيغ والضَّلال ؛ أظلم قلبه ، واكفهرّ وجهه ، يقول الإمام الآجريّ – رحمه الله – : ((وسنذكر من السُّنَّة والآثار ، وأقوال العلماء الَّذين لا يستوحش من ذكرهم ، ما إذا سمعها من له علم وعقل ؛ زاده علمًا وفهمًا ، وإذا سمعها من في قلبه زيغ ؛ فإنْ أراد الله هدايته إلى طريق الحقّ ؛ رجع عن مذهبه ، وإن لم يرجع ؛ فالبلاءُ عليه أعظم)) [٢] .

---

(١) انظر : جامع الرَّسائل (٢ /٥) ، ودرء التَّعارض (٢ /٣٠٠ – ٣٠١) لابن تَيْمِيَّة ، وشرح كتاب التَّوحيد (٢ /٥٠٦) للغنيمان . وتأوّل الحافظ ابن حجر الحديث والآيات بأنّ المحدث هو الرَّسول ؛ بناءً على ما تقتضيه قواعد مذهب الأشاعرة في كلام الله تعالى وصفاته الاختياريّة . الفتح (٣ /٥٠٦) .

(٢) الشَّريعة (١ /٤٩٠) .

وساق – رحمه الله – هو وغيره من أئمَّة السُّنَّة ، جملة من أقوال السَّلف والأئمة ، أجتزئ منها الآتي :

١ – قول علي بن أبي طالب ﷺ : ((أَنَّهُ قيل له يوم صفّين : حكّمت رجلين ، فقال : ما حكّمت مخلوقًا ، ما حكّمت إلاَّ القرآن)) [١] .

٢ – قول حَبرِ الأمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عبّاس – رضي الله عنهما – ؛ عن عكرمة قال : ((كان ابن عبّاس في جنازة ، فلمَّا وضع الميت في لحده قام رجل فقال : اللّهمّ ربّ القرآن اغفر له ، فوثب إليه ابن عبّاس فقال له : مه ! القرآن منه)) ، وفي رواية : ((القرآن كلام الله ، وليس بمربوب ، منه خرج وإليه يعود)) [٢] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التّفسير (١٠ /٣٢٤٩) ، وشرح أصول الاعتقاد (٢ /٢٥٤) ، والأسماء والصِّفات (١ /٩٥٣) للبيهقيّ . وقال : ((هذه الحكاية عن عليّ ﷺ شائعة فيما بين أهل العلم ، ولا أراها شاعت إلَّا عن أصل)) ، والسيوطي في الدرّ المنثور (٧ /٢٢٣) ، وانظر : ((الكيلانيّة)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٤١٨) ، ومنهاج السُّنَّة (٢ /٢٥٢ ، ٢٥٥) .

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٢ /٢٥٦) ، الأسماء والصِّفات (١ /٥٩٠) ، وشرح السُّنَّة (١ /١٨٥) ، و ((الكيلانيّة)) ضمن مجموع الفتاوى (١٢ /٤١٨) ، ومنهاج السُّنَّة (٢ /٢٥٣) ، والدرّ المنثور (٧ /٢٢٣) ، واختصاص القرآن (ص ٢٥) .

٣ – قول ابن عبّاس – أيضًا – : ((كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم ، وعندكم كتاب الله ، أقرب الكتب عهدًا بالله ، تقرءونه محضًا لم يُشَبْ)) [١] .

٤ – قول جعفر بن محمَّد – رحمه الله – وقد سُئل عن القرآن : أخالق أو مخلوق ؟ ، فقال : ((ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنّه كلام الله تعالى)) [٢] .

٥ – قول يزيد بن هارون – رحمه الله – : ((القرآن كلام الله ، لعن الله جهمًا ومن يقول بقوله ، كان كافرًا جاحدًا ، ترك الصَّلاة أربعين يومًا ، زعم يرتاد دينًا ، وأَنَّهُ شكّ في الإسلام)) [٣] .

٦ – قول الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة – رحمه الله – فعن عبد الله بن نافع قال : كان مالك بن أنس يقول : ((القرآن كلام الله)) ، ويستفظع

---

(١) أخرجه البخاريّ ، كتاب التَّوحيد ، باب قول الله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } برقم (٧٥٢٢) (فتح ١٣ /٥٠٥) ، وانظر : درء التَّعارض (٢ /٣٠١) لابن تَيْمِيَّة ، وجامع بيان العلم وفضله (٢ /٨٠٦) لابن رجب .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢ /٢٦٧) ، والآجريّ في الشَّريعة (١ /٤٩٣) ، وإسناده : حسن كما قال شيخنا المحقِّق ، وأورده البخاريّ في خلق أفعال العباد (ص ٤٤) ، والأسماء والصِّفات (١ /٦٠٢) للبيهقيّ ، والبغويّ في التَّفسير (٤ /٧٨) وزاد : أَنَّ هذا اللّفظ نقل عن سبعين من التَّابعين .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣ /٣٧٩) للالكائي ، والسُّنَّة (٥ /٨٧) للخلّال ، والإبانة الكبرى (٦ /٩٤) ، وانظر : الصَّفديّة (٢ /١٦٦) .

من يقول : القرآن مخلوق ، قال مالك : ((يُوجَعُ ضربًا ، ويحبس حتَّى يموت)) [١] .

٧ – قول عبد الرَّحمن بن مهدي – رحمه الله – وقد سُئلَ : ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : ((لو أنّي على سلطان لقمت على الجسر ، فكان لا يمرُّ بي رجل إلاَّ سألته ؛ فإذا قال : القرآن مخلوق ، ضربت عنقه ، وألقيته في الماء)) [٢] .

٨ – قول الإمام أحمد – رحمه الله – : ((القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر)) [٣] .

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرِّجال (١ /٥٣٠) و (٣ /١٨٠) ، والآجريّ في الشَّريعة (١ /٥٠١) ، وإسناده : صحيح كما قال شيخنا المحقِّق .

(٢) أخرجه الإمام عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١ /١٧٢) ، والآجريّ في الشَّريعة (١ /٥٠٢) ، وإسناده : صحيح كما قال شيخنا المحقِّق .

(٣) الشَّريعة (١ /٥٠١) ، والإبانة الكبرى (٦ /٧٠) ، والسُّنَّة (١ /١٣٢) لعبد الله بن الإمام أحمد ، وإسناده : صحيح كما قال شيخنا المحقِّق ، وانظر : درء التَّعارض (٥ /٣٠٩) ، ومجموع الفتاوى (١٢ /١٦١ ، ٣٣٤) لابن تَيْمِيَّة .

المبحث الرَّابع
النُّزول المقيَّد بالسَّماء

السَّماء اسم جنس لكلّ ما علا ، فإذا قيّد بشيء معيّن تقيّد به ؛ إذ غالب ما ورد في كتاب الله تعالى من هذا النَّوع في إنزال المطر الَّذي به حياة الأرض [١] ؛ إذ بلغ عدد الآيات : ستّ وثلاثين آية في سبع وعشرين سورة [٢] .

وقد أقسم الله ﷻ بالسَّماء فقال : {فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ} [الذَّاريات : ٢٣] ؛ وذلك لعظم شأنها ، وعظم شأن المُقْسَمِ عليه وهو البعث والجزاء ، فالسَّماء أودع الله بحكمته فيها رزق الدّارين – الدّنيا والآخرة – فقال تعالى : {وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذَّاريات : ٢٢] ، ففسَّر جمع من السَّلف رزق الدّنيا : بالمطر ، ورزق الآخرة : الجنَّة ، وذلك أنَّ المطر من رحمة الله بأهل الأرض في معاشهم ، والجنّة مستقرّ الرَّحمة ومعدنها [٣] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٢ /٢٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠ /١٤) للقرطبي .

(٢) انظر : المعجم المفهرس (ص ٦٩٤ – ٦٩٨) محمَّد فؤاد عبد الباقي .

(٣) انظر : التبيان في أيمان القرآن (ص ٦٣٧) لابن القيّم ، وزاد المسير (٨ /٣٤) لابن الجوزي ، وروح المعاني (٢٧ /١٦) للآلوسي .

يقول الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – في بيان حقيقة المطر ومادّة خلقه : ((وكذلك المطر معروف عند السَّـــلف والخلف بأنّ الله تعالى يخلقه من الهواء ومن البخار المتصاعد ، لكن خلقه للمطر من هذا ، كخلق الإنسان من نطفة ، وخلقه للشَّـجر والزَّرع من الحبّ والنَّوى ... وهذا هو الدَّليل على القادر المختار الحكيم ، الَّذي يخلق المطر على قدر معلوم وقت الحاجة إليه .

والبلد الجرز يســـوق إليه الماء من حيث أمطر . كما قال تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} [السَّـــجدة : ٢٧] ، فالأرض الجُرز لا تمطر ما يكفيها ، كأرض مصـــر : لو أمطرت المطر المعتاد لم يكفها ؛ فإنَّها أرض إبليز [(١)] ، إذا أمطرت مطرًا كثيرًا مثل مطر شـهر خربت المسـاكن ، فكان من حكمة الباري ورحمته أن أمطر أرضًـــا بعيدة ، ثمَّ ســـاق ذلك الماء إلى أرض مصر)) [(٢)] .

---

(١) الإبليز : الطين الَّذي يخلّفه نهر النّيل على وجه الأرض بعد ذهابه . منهاج السُّـــنَّة (٥ /٤٤٤) هامش (٢) ، وانظر : المعجم الوسيط (٩٦) .

(٢) منهاج السُّـــنَّة (٥ /٤٤٣ – ٤٤٤) . وانظر : النُّبوَّات (١ /٢٩٣) ، ومجموع الفتاوى (٦ /٥٥٨) ، وجامع الرَّسائل (٢ /٢١٦) ، وذكر هنا ((كذلك إضافة الزّلزلة إلى احتقان البخار ، وإضـافة حركة الرّعد إلى مجرّد اصـطكاك أجرام السَّـحاب إلى غير ذلك من الأسباب الَّتي ضلّوا فيها ضلالاً مبينًا – يعني الفلاسفة –)) (٢ /٢١٧) .

وفي نزول المطر وتكوينه بهذه الطَّريقة البديعة عندما تتبخّر مياه البحار ، وتتصـــاعد في أعالي السَّـــماء ، فيتكوّن ((السَّـــحاب – وهي روايا الأرض – ثمَّ يرسل الرِّياح ، فتحمل الماء من البحر وتلقحها به كما يلقح الفحل الأنثى ...

والله سبحانه ينشئ الماء في السَّحاب إنشاءً ، تارةً يَقْلِبُ الهواء ماءً ، وتارةً يحملُه الهواءُ من البحر فيلقح به السَّـــحاب ، ثمَّ ينزل منه على الأرض ... ولو أَنَّهُ ساقه من البحر إلى الأرض جاريًا على ظهرها لم يحصل عموم السّقي إلاَّ بتخريب كثير من الأرض ، ولم يحصـــل عموم السّـــقي لأجزائها . فصـــاعده ســـبحانه إلى الجوّ بلطفه وقدرته ، ثمَّ أنزله على الأرض بغايةٍ من اللطف والحكمة الَّتي لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها ، فأنزله ومعه رحمته على الأرض)) [1] .

قال تعالى : {وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۤ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف : ٥٧] . وقال : {إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ

(١) مفتاح دار السَّـعادة (٢ /٦٣٧ – ٦٣٨) . وانظر : التبيان في أقسـام القرآن (٢٧٨ – ٢٧٩) .

ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ } [البقرة : ١٦٤] ، وقال : {وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ} [الأنعام : ٩٩] . وقال : {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ} [النَّحل : ١٠ - ١١] .

ونفى ﷻ مقدرة الخلق على شيء من أفعاله ، كخلق السَّموات والأرض ، وإنزال المطر من السَّماء ، وإنبات الحدائق ، فقال : { أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ }[النحل: ٦٠].

وفي معرض الامتنان على أهل الأرض قاطبة بأنواع من النّعم والتَّسخير في العالم العلوي والسّفلي ، ما يصلح به معاشهم ، قال : {ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ} [إبراهيم : ٣٢] .

هذا التَّسخير من العزيز الحكيم سبحانه نراه في العالم العلوي والسُّفلي ف- ((قرار العالم وهو الأرض وسقفه وهو السَّماء ، وأصول منافع العباد وهو الماء الَّذي أنزله من السَّماء ، ... ونبّه تعالى بجعله للأرض فراشًا على تمام حكمته في أن هيأها لاستقرار الحيوان عليها ، فجعلها فراشًا ومهادًا وبساطًا وقرارًا ، وجعل سقفها بناءً محكمًا مستويًا لا فطور فيه ولا تفاوت ولا عيب ...)) [1] .

وهذا كلّه ليتلقّى العباد رزق الله بشتَّى ألوانه وأصنافه ، ما علمه رزقًا كالطَّعام والشَّراب واللِّباس ، وما خفي عليهم من أرزاق ظاهرة وباطنة .

وفي سورة الفرقان عندما ذكر الله تبارك وتعالى قصّة موسى عليه السلام مع قومه ، وقوم نوح ، وعاد وثمود ، وتكذيبهم لرسلهم ، وما جاءوا به من النُّبوَّة ، والدلائل والبراهين السَّاطعة على تفرّد الله تعالى بالألوهيّة والملك والسلطان ، أبرز لهم سبحانه آيات الكون المنظور حولهم ، كالشَّمس والقمر ، واللّيل

(١) بدائع الفوائد (٤ /١٣٤) لابن القيّم .

والنَّهار ، وما فيهما من العبر والآيات ، ثمَّ قال : {وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡيِۦَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الفرقان : ٤٨ - ٥٠] .

يقول الطَّاهر ابن عاشور في بيان معنى الآيات أنَّ فيها : ((استدلالٌ على الانفراد بالخلق ، وامتنان بتكوين الرِّياح والأسحبة والمطر ... ومردود الاستدلال قصر إرسال الرِّياح وما عطف عليه على الله تعالى إبطالًا لادّعاء الشركاء له في الإلهيّة بنفي الشِّركةِ في التّصرّف في هذه الكائنات ، وذلك ما لا ينكره المشركون ... وهذا استدلال بدقيق صنع الله في تكوين الرِّياح وهبوبها واختلافها ... حارّة مرّة ، وباردة أخرى ، تكون الأسحبة وتؤذن بالمطر...)) [(١)].

والآلوسي – رحمه الله – عند تفسير الآية لفت النَّظر إلى نون العظمة في قول الله تعالى : {وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا} [الفرقان : ٤٨] فقال : ((والالتفات إلى نون العظمة ... لإبراز كمال العناية بالإنزال ؛ لأنَّهُ نتيجة ما ذكر من إرسال الرِّياح [(٢)] ، أي أنزلنا بعظمتنا بما رتّبنا من إرسال الرِّياح من

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (١٩ /٤٦ – ٤٧) لابن عاشور .

(٢) وقد فَرَّق العلماء بين الرِّيح والرِّياح ، فمتى ((وردت في القرآن مفردة فهي للعذاب ، ومتى كانت للمطر والرّحمة جاءت مجموعة ؛ لأنّ ريح المطر تتشعّب وتتذأب وتتفرّق ، وتأتي ليّنة من هاهنا وهاهنا ، وشيئًا إثر شيء ، وريح العذاب تأتي جسدًا واحدًا

جهة العلوّ الَّتي ليست مظنّة الماء ، أو من السحاب ، أو من الجرم المعلوم ...)) [1] .

ومثله ما جاء في قوله تعالى : {وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ} [الحجر : ٢٢] ، وقال تعالى : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ} [النُّور : ٤٣] .

والمعنى : أنَّ الله تبارك وتعالى يُنشئ ويسوق السَّحاب ، ويؤلّف بينه ، ويكون ركامًا بعضه على بعض ، فيستخرج من بينه المطر المصحوب في بعض الأوقات بالبرد ، ولم تكن العرب تعرف الثَّلج الَّذي يكون في أعلى الكرة الأرضيَّة ، وفي هذا يقول حبر الأمَّة وترجمان القرآن ﷺ : ((وإنما خاطب القوم بما يعرفون ، وإلاَّ ما الثَّلج أكثر من البرد ، والعرب ما رأوا الثَّلج قطّ)) ، وفي رواية قال : ((الثَّلج شيء أبيض ينزل من السَّماء ما رأيته قطّ)) [2] .

لا تتذأب ، ألا ترى أنَّها تحطّم ما تجد وتهدمه)) . روح المعاني (١٩ /٤٠) ، والتَّحرير والتَّنوير (١٩ /٤٧) .

(١) روح المعاني (١٩ /٤١) .

(٢) تفسير القرآن (٣ /٥٣٨) للسمعاني، وانظر :الجامع لأحكام القرآن (١١ /١٨٩ - ١٩٠) للقرطبي، وتفسير القرآن العظيم (٣ /٤٧٦) لابن كثير ، والمحرّر الوجيز (٣ / ٤١٢).

والرؤية هنا المراد بها : رؤية العين ، ورؤية البصيرة والتفكّر بالعقل ، كقوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ } [فاطر : ٢٧] ، وقوله سبحانه : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ} [الزُّمر : ٢١] .

وفي إنشاء السَّحاب وتكوينه ، وإنزال المطر وتعميمه ، وإخراج الثَّمرات والزروع ، وانتفاع الإنس والحيوان ، ثمَّ زوال هذا كلّه وآثاره ، دليل وبرهان سلكه القرآن لتقرير المعاد ، وقيام السَّاعة ، ونهاية ما على هذه الأرض من الأنس والجنّ ، وعود جميع الخلائق إلى ربّها للجزاء والحساب ، والثَّواب والعقاب ، ما فيه دليل واضح على أنَّ الله – جلّ وعلا – مهيمن على الخلق ، ومالك لهم ، ومتصرّف فيهم {وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الزُّمر : ٧٥] .

وفي سورة الجاثية الَّتي يقرّر الباري ﷻ في مطلعها إنزال القرآن منه تبارك وتعالى ، وتفرّده سبحانه بخلق السَّموات والأرض ، واختلاف اللَّيل والنَّهار ، ثمَّ يأتي بإنزال الغيث من السَّماء لإحياء الأرض بعد موتها ، ويجعل كلّ هذا في مطلع السُّورة دليلاً واضحًا ، وبرهانًا ساطعًا على أنَّ القرآن منزل من الله تعالى ، تكلّم به بمشيئته وقدرته ، وسمعه منه جبريل عليه السلام ، وبلّغه إلى

محمَّد ﷺ ، متهدّدًا بعد ذلك لمن كابر وعاند ، وكذّب بنزول القرآن ؛ الَّذين قالوا : {مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ} [النبأ : ٩] ، فألجم القوم الحجّة وبكّتهم ، فقال : {تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ} [الجاثية : ٦ – ١١] .

وأكّد القرآن هذه الحقيقة ، وهي الاستدلال بإنزال المطر على الأرض الموات ، وإحيائها ، على قدرة العليم الخبير على إحياء الموتى ، وبَعْثِ النَّاس من قبورهم ، فقال : {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ} [فُصِّلت: ٣٩] .

وفي سورة النبأ وهي تقرّر أمر التَّوحيد ، وعقيدة البعث ، ويوم الفصل قال سبحانه : {وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا} [النبأ : ١٤ – ١٧] .

ولفت عقول الخلق إلى حقيقة كبرى ، يشـــاهدونها في حياتهم على ظهر الأرض ، وأَلِفَتْهَا أبصارهم ، فقال : {أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} [الواقعة : ٦٨ – ٧٠] ؛ لو اقتضـــت حكمتنا ، ونفذت إرادتنا ، لتغيّر النّاموس ، وانقلبت الطبائع ، فصار الماء العذب الزلال ، مالحًا لا يستساغ ، ولا يطفئ عطشًا ، ولا يروي ظمأنًا ، فحاجة الخلق إليه فوق كلّ حاجة ، فالبدويّ في الصّحارى القاحلة لا يســتغني عن الماء ، والعالِمُ المشــتغل بالأبحاث في أعرق المراكز العالميّة مفتقر إليه ، فله الحمد جلّ في علاه أعطى من خزائنه فأغدق ، {ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ} [الأعلى : ٢ – ٥] .

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس
النُّزول المطلق

وهذا النُّزول غير المقيَّد ورد في مواضـــع من كتاب الله تبارك وتعالى ، منها : إنزال الملائكة ، ومنها : إنزال السَّـكينة ، ومنها : إنزال الميزان والحديد ، ومنها : إنزال الآيات ، ومنها : إنزال العذاب ، ومنها : إنزال المنّ والسَّـــلوى ، ومنها : إنزال الأنعام واللِّباس ، وكلّ هذا من النُّزول المطلق الَّذي لم يقترن بأنّه من الله ولا من السَّـــماء ، وعند التأمّل والتَّحقيق يتبيّن أَنَّهُ لم يَرِدْ لفظ النُّزول في المخلوقات السُّـفليّة ، فلم ((يسـتعمل النُّزول فيما خلق من السّـفليات ، فلم يقل أنزل النَّبات ، ولا أنزل المرعى ، وإنما اســتعمل فيما يخلق في محلٍّ عالٍ وأنزله الله من ذلك المحلّ ، كالحديد والأنعام)) [1] .

وسأتناول أنواعًا من هذا النُّزول على النَّحو التَّالي :

النَّوع الأَوَّل : إنزال الملائكة :

وقد ورود في ثمان سور من القرآن العزيز ، في مناسبات مختلفة ، تارة لنصرة المؤمنين على الكافرين ، وتارة عند قيام السَّـــاعة وزوال الدّنيا وغيرها ، قال تعالى في شـــأن غزوة بدر الكبرى : {وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم

(١) مجموع الفتاوى (١٢ /٢٥٤) لابن تَيْمِيَّة ، وانظر : مختصـر الصَّـواعق (ص ٤٤١ – ٤٤٢) للموصلي .

بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ } [آل عمران : ١٢٣ – ١٢٧] .

وقد اختلف أهل العلم بالتأويل هل كان هذا يوم بدر أم يوم أحد ، على قولين :

أحدهما : أنَّ هذا كان يوم بدر ، قاله ابن عبّاس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة .

الثَّاني : يوم أحد ، وقال به طائفة [(١)] .

قال ابن كثير – رحمه الله – : ((فالظَّاهر أنَّ ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أنَّ قتال الملائكة إنَّما كان يوم بدر ، والله أعلم)) [(٢)] .

---

(١) انظر : زاد المسير (١ /٣٢١) ، وتفسير القرآن العظيم (٢ /١١٢ – ١١٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ /٦٠٠) ، وانظر : تفسير القرآن (١ /٣٥٣) للسمعاني ، وزاد المسير (١ /٤٥٠ – ٤٥١) ، واختار ابن تَيْمِيَّة أنَّ نزول الملائكة كان يوم بدر . انظر : منهاج السُنَّة (٨ ،٤٦٥ ، ٥٢١) .

يقول السعديّ – رحمه الله – : ((فكأنّ النُّفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التَّقوى الَّتي يحصل بها النَّصر والفلاح والسَّعادة ، فذكر الله في هذه الآيات أهمّ خصـــال التَّقوى الَّتي إذا قام العبد بها ، فقيامه بغيرها من باب أولى وأحرى ، ويدلّ على ما قلنا أنَّ الله ذكر لفظ التَّقوى في هذه الآيات ثلاث مرّات ، مرّة مطلقة ... ومرّتين مقيّدتين ... يدلّ على أنَّ الإيمان هو السَّـــبب الدَّاعي والموجب لامتثال ذلك الأمر ، واجتناب ذلك النَّهي)) [1] .

وثبوت النُّزول للملائكة بأمر ربّها عقيدة مستقرّة عند الملائكة ، أفصحت عنها سورة مريم ، قال تعالى : {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا} [مريم : ٦٤] .

روى البخاري بسنده عن ابن عبّاس – رضي الله عنهما – قال : ((قَالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ؟ فَنَزَلَتْ : {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا})) [2] .

---

(١) تيسير الكريم الرَّحمن (١ /١٤٧) .

(٢) كتاب التَّفســـير ، باب : { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ } برقم (٤٧٣١) (فتح ٨ /٢٨٢) ، وقرّر الحافظ ابن حجر كعادته في مثل هذه المواطن مذهب الأشـــاعرة في كلام الله تعالى ، متعقّبًا بعض الشـرَّاح كالداودي ، حيث اسـتشـكل نزول الوحي في القضـايا الحادثة مع أنَّ القرآن قديم ، وأحال في الجواب على هذا الإشـــكال – في نظره ، إلى كتاب التَّوحيد . والله المستعان .

ومشـــركو العرب وكفّار قريش مقرّون بهذه الحقيقة ، تنزّل الملائكة بأمر ربّها ، فكان جدالهم لخاتم المرسـلين ﷺ بارزًا في كتاب الله تعالى ، ففي سـورة الحجر قال تعالى – حكاية عنهم – : {وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ } [الحجر : ٦ – ٧] ، فيأتي الجواب من الله تعالى : {مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ} [الحجر : ٨] .

وكذا الملأ المسـتكبرون من قوم نوح عليه السلام ؛ لمَّا دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، أجابوه بما ذكره الله عنهم : {فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَـٰذَا فِي ٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٢٤] .

ومثله في سـورة فُصّـلت الَّتي قرأها رَسُـولُ الله ﷺ على أبي الوليد عتبة بن ربيعة القرشـي ، جاء فيها قوله – جلّ وعلا – : {إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ } [فُصّلت : ١٤] .

وقد أخبر العزيز الحكيم في كتابه المبين عن ((هول يوم القيامة ، وما يكون فيه من الأمور العظيمة ، فمنها : انشـقاق السَّـماء وتفطّرها ، وانفراجها بالغمام ، وهو ظلّ النُّور العظيم الَّذي يبهر الأبصـار ، ونزول ملائكة السَّموات

يومئذ ، فيحيطون بالخلائق في مقام الحشـــر ، ثمَّ يجيء الربّ تبارك وتعالى لفصـل القضـاء)) [1] . قال سـبحانه : {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا} [الفرقان : ٢٥ – ٢٦] .

قال الآلوســـي – رحمه الله – : ((وأمَّا نزول الملائكة مع كثرتهم وعظم أجسامهم ، فلا يمنع عنه ما يُشاهد من صغر الأرض ؛ لأنّ الأرض يومئذ تمتدّ بحيـث تســـع أهلهـا وأهـل السَّـــموات أجمعين ، وســـبحـان من لا يعجزه شيء ...)) [2] .

والملائكة خلق من خلق الله تعالى أضـافهم إلى نفسـه إضـافة تشـريف ، بينما صـــفات الباري ومنها (صـــفة الكلام) إضـــافتها إلى الله تعالى من باب إضافة الصِّفة إلى الموصوف [3] .

---

(١) تفســـير القرآن العظيم (٣ /٥٠٥) لابن كثير ، وانظر : تفســـير القرآن (٤ /١٦) للســـمعـاني ، وتفســـير القرآن العزيز (٣ /٢٥٨) لابن أبي زمنين ، وورح المعـاني (١٩ /١٤) للآلوسي .

(٢) روح المعاني (١٩ /١٥) ، وانظر : التَّحرير والتَّنوير (١٧ /٩ – ١١) لابن عاشور .

(٣) انظر هذين النَّوعين من الإضـــافة في : درء التَّعارض (٧ /٢٦٣ – ٢٦٦) ، بيان تلبيس الجهميَّـة (٦ /٣٦٥) ، ومجموع الفتـاوى (٦ /١٤٤ – ١٤٥) و (٩ /٢٩١) ، ومنهاج السُنَّة (٣ /٢١٦) لابن تَيْمِيَّة .

النَّوع الثَّاني : إنزال الآيات :

اقتضت مشيئة الله – تبارك وتعالى – وحكمته تأييد رسله وأنبيائه بالآيات الباهرات الَّتي يستدلّ بها على صدق رسالاتهم ، وأنّ ما جاءوا به من عند الله وحي أوحاه الله إليهم ، وكلامه أنزله إليهم ، فقال تعالى : {طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ} [الشُّعراء : ١- ٦] .

وخصَّ الله ﷻ الثَّقلين بإنزال الآيات لغرض هدايتهم ، وإخراجهم من ظلمات الشِّرك إلى نور التَّوحيد، وتصديق الرَّسولِ ﷺ فيما جاء به، وهذا مقتضى رحمته ولطفه ﷻ بعباده ، فقال : { هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ} [الحديد : ٩] .

وفي سورة البقرة امتنّ الله – تبارك وتعالى – على عبده ورسوله محمَّد ﷺ بإنزال الآيات الدّالّة على صدق ما جاء به من ربّه ، فقال : {وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتم بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ} [البقرة : ٩٩] .

وفي سورة الإسراء ، وعند ذكر قصّة موسى عليه السلام ذكر الله ﷻ الآيات البيّنات الَّتي أيّد بها كليمه عليه السلام ، وكانت برهانًا نيّرًا على صدقه ، وصدق نبوّته ، وهي : (يده ، وعصاه ، والسّنين ، ونقص الثَّمرات ، والطّوفان ،

والجراد ، والقمّل ، والضّفادع ، والدم)) [1] . قال جلّ وعلا : {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } [الإسراء : ١٠١ - ١٠٢]

وخاطب الله أهل الكتاب في القرآن على لسان خليله وخاتم رسله ﷺ فقال : {يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ} [آل عمران : ٧٠] ((يعني : تكفرون بالقرآن وبما جاء به ، وأنتم تشهدون بصحّته وأَنَّهُ الحقّ ، فكفركم عناد وجحود عن علم وشهود ، لا عن جهل وخفاء)) [2] .

وقدرة الله ومشيئته النَّافذة في جميع المخلوقات ، ومنها إنزال الآيات أقرّ به حتَّى المشركون المعاندون في توحيد العبادة ، المقرّون بتوحيد الرّبوبيّة ، قال الله جلّ وعلا في شأن جدالهم واعتراضهم على النَّبيّ الخاتم ﷺ : {وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأنعام : ٣٧] أي على وفق ما يريدون ويشتهون ، فقد بلغ بهم الجهل والضَّلال إلى حدّ أَنَّهم لم يقنعوا بما شاهدوه من الآيات الَّتي تخرّ لها

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣ /١٠٩) لابن كثير ، وقال بعد ذلك : ((وهذا القول ظاهر جليّ حسن قويّ)) المصدر نفسه (٣ /١٠٩) ، وانظر : روح المعاني (١٥ /٢٣٠) للآلوسي .

(٢) مفتاح دار السَّعادة (١ /٢٥٢) ، وانظر : شفاء العليل (ص١٤٩) لابن القيّم .

صـــمّ الجبال ، وراحُوا يطلبون آية بمواصـــفات يحدّدونها بعقولهم زعموا ، عنادًا واســـتكبارًا ، فعموا أو تعاموا عن هذا الكتاب المعجز لقريش وكافّة العرب الَّذين نزل بلغتهم ، بل وعامّة أهل الأرض ، فلا حيلة فيمن عميت أبصـــــارهم ، وانطمس نور بصيرتهم ، وتلوّثت فطرهم ، واجتالتهم الشَّياطين ، فهوت بهم في كلّ وادٍ سحيق .

ولو أنَّ القوم المكذّبين آمنوا بالله ، ووطّنوا نفوسهم لقبول الحقّ ، وخضعوا للإيمان بالغيب المستور عن الخلق لفازوا وأفلحوا ، ولكن عاندوا . قال تعالى : {وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ} [يونس: ٢٠]، فلم يجبهم إلى ما طلبوا ؛ لأنَّهُ لو أجابهم لحقّ عليهم عذاب الاستئصال، ولا بُدَّ ((أن يستأصل شأفتهم ، لكن لا أعلم متى يكون ، وأنتم كذلك ؛ لأنّ ذلك من الغيب ، وهو مختصّ به تعالى ، لا يعلمه أحد غيره جلّ شأنه ، وإذا كان كذلك ، فانتظروا ما يوجبه اقتراحكم ، إنّي معكم من المنتظرين)) [(١)] .

وقد أضـــلّ الله القوم على علم ، وقامت عليهم الحجّة ، وبلغتهم الرّســـالة ، ولذا قال تعالى : {وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} [الرَّعد : ٢٧] .

---

(١) روح المعاني (١١ /١٢٣ – ١٢٤) للآلوسي ، وانظر : جامع البيان (١٥ /٤٨) لابن جرير ، ومعالم التَّنزيل (٤ /١٢٧) للبغوي ، والجامع لأحكام القرآن (٨ /٣٢٣) للقرطبي ، والتَّحرير والتَّنوير (١١ /١٣١) لابن عاشور .

النَّوع الثَّالث : إنزال الميزان والحديد :

قال الله ﷻ : {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد : ٢٥]

قال ابن القيّم – رحمه الله – : ((ومن أعظم القسط التَّوحيد ، وهو رأس العدل وقوامه ، وإنّ الشِّرك لظلم عظيم ، فالشّرك أعظم الظُّلم ، والتَّوحيد أعدل العدل ، فما كان أشدّ منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر ، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له ، وما كان أشدّ موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات ، وأفرض الطَّاعات .

فتأمّل هذا الأصل حقّ التأمّل ، واعتبر تفاصيله تعرف به حكمة أحكم الحاكمين ، وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده ، وحرّمه عليهم ، وتفاوت مراتب الطَّاعات والمعاصي)) [(١)] .

فالميزان عند جمهور المفسّرين المراد به العدل ، وقيل : هو ما يوزن به الأشياء [(٢)] .

---

(١) الجواب الكافي (ص ١٢٨) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العزيز (٤ /٣٥٥) لابن أبي زمنين ، وتفسير القرآن (٥ /٣٧٨) للسمعاني ، وزاد المسير (٨ /١٧٤) لابن الجوزي ، ومجموع الفتاوى (١٢ /٢٤٩) .

وجاء في سورة الشُّورى قول الحقّ جلّ وعلا : {ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ} [الشُّورى : ١٧] ، وأمر كلّ من يتولّى الحكم بين النَّاس أن يحكم بالعدل ، فقال : {إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا} [النِّساء : ٥٨] ، وقال : {فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [المائدة : ٤٢] ، وقال : {فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [المائدة : ٤٨] ، ((فأمره أن يحكم بالقسط ، وأن يحكم بما أنزل الله ، فدلّ ذلك على أنَّ القسط هو ما أنزل الله ، فما أنزل الله هو القسط ، والقسط هو ما أنزل الله ... والشَّرع الَّذي يجب على حكَّام المسلمين الحكم به عدل كلّه ، ليس في الشَّرع ظلم أصلاً ، بل حكم الله أحسن الأحكام)) [(١)] .

فذكر الكتاب مقرونًا بالحديد ؛ يفيد أنَّ قوام الدِّين لا يكون إلاَّ بهما ، كما قال الشَّاعر :

فما هو إلاَّ الوحي أو حدّ مرهف ❁ تُميلُ ظُبَاهُ أخدعيْ كلّ مائل

---

(١) منهاج السُّنَّة (٥ /١٢٨) ، وانظر : مفتاح دار السعادة (٢ /٨٨١ - ٨٨٢) .

فهذا شـــفاء الداء من كلّ عـاقلٍ ۞ وهـذا دواء الـداء من كلّ جـاهـل [1]

والإنزال المذكور في الآية ليس المقصـــود أَنَّهُ أُنزل من السَّـــماء كالمطر ونحوه [2] ، بل المقصود إنزاله من الجبال ((فإنَّ الحديد إنَّما يخلق في المعادن ، والمعادن إنَّما تكون في الجبال ، فالحديد ينزله الله من معادنه الَّتي في الجبال لينتفع به بنو آدم)) [3] .

النَّوع الرَّابع : إنزال الأنعام واللِّباس :

إنَّ من نعم الله ســـبحانه أن خلق الأنعام لحكم وفوائد عظيمة ، لا غنى للخلق عنها ، فقال : {وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا

---

(١) البيتان لأبي تمّام ، انظر : ديوانه (ص ١١٤) .

(٢) تذكر كتب التَّفسـير عن ابن عبّاس – رضـي الله عنهما – أنَّ آدم عليه السلام نزل من الجنّة ومعه خمسة أشياء من حديد : السندان ، والكلبتان ، والمنقعة ، والمطرقة ، والإبرة .

وهذا كذب لا يثبت مثله . انظر : مجموع الفتاوى (١٢ /٢٥١ – ٢٥٢) ، ومختصـــر الصَّـواعق (ص ٤٤٢) للموصـلي ، وعزا السـمعاني في تفسـيره (٤ /٤٥٩) ما نقل عن ابن عبّاس : ((نزل من الجنَّة خمســـة أشـــياء ...)) إلى تفســـير النقّاش ، وهو يروي الضـعاف والموضـوعات . قال السّـمعانيّ في الأنسـاب (٥ /٥١٨) : ((قال البرقاني : ليس فيه حديث صـــحيح)) ، ونقل الذّهبيّ في ميزان الاعتدال (٦ /١١٥) عن اللالكائي أَنَّهُ سمّى تفسير النقّاش بـ– ((إشقاء الصُّدور وليس بشفاء الصُّدور)) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ /٢٥٤) ، ومختصر الصَّواعق (ص ٤٤٢) للموصلي .

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}

[المؤمنون : ٢١ – ٢٢] ، وقد اشتملت هذه الآية على فوائد وعبر ، منها :

١ – تسخير الأنعام من الإبل والبقر والغنم فيه عبرة للمعتبرين ومنافع للمنتفعين .

٢ – أخرج سبحانه من بطونها لبنًا – من بين فرث ودم – خالصًا سائغًا للشَّاربين .

٣ – جعل للنّاس من أصوافها وأشعارها وجلودها بيوتًا يخفّ حملها في الأسفار والمقام .

٤ – أفضل أنواع المطاعم يكون من بهيمة الأنعام .

٥ – تحمل أثقال النَّاس وأنفسهم إلى بلدان لا يبلغونها بأقدامهم إلاَّ بشقّ الأنفس [١] .

((فالَّذي أنعم بهذه النِّعم ، وصنَّف أنواع الإحسان ، وأدرّ علينا من خيره المدرار هو الَّذي يستحقّ كمال الشُّكر وكمال الثناء والاجتهاد في عبوديّته ، وأن لا يستعان بنعمه على معاصيه)) [٢] .

---

(١) انظر : تفسير الكريم المنّان في تفسير كلام المنّان (٥ /١٦٨) لابن سعدي ، وجامع البيان (١٧ /٣٣) ، ومدارك التَّنزيل (٢ /٢٢١) للنّسفي ، وتفسير القرآن العظيم (٤ /٥٨١) ، وروح المعاني (١٨ /٣٠٧ – ٣٠٨) ، ومفتاح دار السَّعادة (٢ /٦٧٤ – ٦٧٦) ، وشفاء العليل (ص ١٩٨) ، والطبّ النَّبويّ (ص ٢٩٢) لابن القيّم .

(٢) المصدر نفسه (٥ /١٦٨) لابن سعدي .

وهذه الأنعام مخلوقة لله تعالى كسائر المخلوقات ، وإن كان الله تبارك وتعالى عبّر في سورة الزُّمر في شأن الأنعام بالإنزال ، فقال : {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ} [الزُّمَر : ٦] .

يقول ابن كثير – رحمه الله – عند تفسير الآية : ((أي : وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج ، وهي المذكورة في سورة الأنعام ؛ {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} [الأنعام : ١٤٣] {وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} [الأنعام : ١٤٤]))[1] .

والتَّعبير بالإنزال في الآية يكون بحسب السِّياق ، فالماء عبّر عنه بالإنزال فيكون إنزاله من السَّماء ، وهنا يكون المعنى أَنَّها ((تنزل من بطون أمّهاتها ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمّهاتها ، ويقال للرّجل : قد أنزل الماء ، وإذا أنزل وجب عليه الغسل ، ... فكيف بالأنعام الَّتي غالب إنزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الإناث .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ /٧٠) ، وانظر : تفسير القرآن العزيز (٤ /١٠٤) لابن أبي زمنين ، وتفسير القرآن (٤ /٤٥٨) بتصرّف .

ومِمَّا يُبيّن هذا : أَنَّهُ لم يستعمل النُّزول فيما خلق من السّفليات ، فلم يقل أنزل النَّبات ، ولا أنزل المرعى ، وإنما استعمل فيما يخلق في محلٍّ عالٍ ، وأنزله الله من ذلك المحلّ ، كالحديد والأنعام)) [1] .

ومن هذا الباب : إنزال اللِّباس الَّذي أخبر جلّ وعلا عنه في كتابه فقال : {يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف : ٢٦] .

يقول الماورديّ – رحمه الله – : ((نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ، ويرون أنَّ ذلك أبلغ في الطَّاعة ، وأعظم في القُرْبة .

وفي دخول الشُّبهة عليهم في ذلك وجهان :

أحدهما : أنَّ الثِّياب قد دنّستها المعاصي ، فخرجوا عنها .

الثَّاني : تفاؤلاً بالتَّعرّي من الذُّنوب)) [2] .

وفي معنى إنزال اللِّباس أقوال :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ /٢٥٤) لابن تَيْمِيَّة . وانظر : مفتاح دار السَّعادة (٢ /٦٧٥ – ٦٧٦) .

(٢) النكت والعيون (٢ /٢١٣) . وانظر : الجامع لأحكام القرآن (٧ /١١٨) ، والمحرّر الوجيز (٢ /٣٨٨) لابن عطيّة ، ومجموع الفتاوى (١٥ /٢١٧) ، وبيان تلبيس الجهميَّة (٢ /١٧٠) .

منها : أي خلقناه ، وقيل : أنزلنا أسبابه ، وقيل : ألهمناكم كيفيّة صنعه ، ((وهذه الأقوال ضعيفة)) [1] .

يقول الإمام ابن تَيْمِيَّة – رحمه الله – في معنى الآية : ((والقرآن مقصوده جنس اللِّباس الَّذي يلبس على البدن ... فامتنّ سبحانه عليهم بما ينتفعون به من الأنعام في اللِّباس والأثاث ، وهذا – والله أعلم – معنى إنزاله ؛ فإنَّه ينزله من ظهور الأنعام ، وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار ، وينتفع به بنو آدم من اللِّباس والرِّياش ، فقد أنزلها عليهم ، وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب ، فهي لدفع الحرّ والبرد ، وأعظم ممَّا يصنع من القطن والكتّان ...)) [2] .

وينبّه ابن القيّم – رحمه الله – إلى إشارات لطيفة حول امتنان الله تعالى بإنزال اللِّباس بنوعيه الحسيّ والمعنوي ، فيقول : ((فذكر سبحانه زينة ظواهرهم وبواطنهم ، ونبّههم بالحسيّ على المعنوي ؛ وَفَهْمُ هذا القدر زائد على فهم مجرّد اللَّفظ ووضعه في أصل اللِّسان ، والله المستعان)) [3] .

وبهذا يتقرّر أنَّ تنوّع دلالات النُّزول في القرآن الكريم تدلّ على توحيد الله وصفاته من العلم والقدرة والحكمة واللطف بالعباد إذا أنزل لهم ما به حياة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ /٢٥٥) .

(٢) المصدر نفسه (١٢ /٢٥٥ – ٢٥٦) .

(٣) إعلام الموقّعين (١ /١٧٣ – ١٧٤) ، وانظر : إغاثة اللّهفان (١ /٥٨) ، والصَّواعق المرسلة (٤ /١٣٨٦) ، وروضة المحبّين (ص ٢٣٥) لابن القيّم .

أرواحهم وقلوبهم من الوحي المعصـــوم الَّذي فيه خير الدّنيا والآخرة ، وأنزل للخلائق ما يحتاجونه على ظهر الأرض لتمام الاســـتقرار والعيش ، وأنّ الفرق بين النَّوعين من نزول الوحي ونزول المخلوقات الَّتي قدّرها الله تبارك وتعالى ظاهر لأهل العلم والإيمان ، ومن سوّى بين النَّوعين فما يزيده إلَّا خسارًا .

❁ ❁ ❁

الخاتمة

وفيها إجمال أهمّ النتائج :

١ ـ النُّزول في كلام العرب ولسانهم هو الهبوط من المكان الأعلى إلى المكان الأسفل .

٢ ـ مصطلح النُّزول في القرآن جرى على هذا الأصل ، لم يخرج عنه قطّ .

٣ ـ كلّ من جعل لفظ النُّزول المقرون بالقرآن ، والوارد في سياق بمعنى مخلوق فهو مخالف للقرآن واللغة .

٤ ـ لفظ النُّزول إذا ورد مقيّدًا بأنّه من الله فالمراد به القرآن الكريم ، وإذا قُيّد بالسّماء فيراد به المطر ، وفي حال الإطلاق ينصرف إلى الحديد ، والميزان ، والسَّكينة ، ونحو هذا .

٥ ـ إنزال القرآن المراد منه : أنَّ الله تكلّم به ، وسمعه منه جبريل ، وتلقّاه عنه محمَّد ﷺ .

٦ ـ تنوّع الطُّرق الَّتي سلكها الخطاب القرآنيّ في تقرير صفة الكلام لله تعالى ، وأَنَّهُ تكلّم بالقرآن حقيقة لا مجازًا .

٧ ـ أثبت أئمَّة السُّنَّة والجماعة طرقًا عقليّة تبيّن أنَّ كلام الله تبارك وتعالى أزليّ النَّوع متجدّد الآحاد .

٨ - إِنَّ أقوال الطوائف المنحرفة في كلام الله تعالى تأثّرت بالفلاسفة والجهميّة والصابئة ، فهم دائرون بين التَّعطيل والتَّشبيه .

٩ - القول الحقّ في القرآن هو ما جاء به الوحي ، ودعت إليه الرُّسل ، ونزلت به الكتب ، وهو قول الصَّحابة والتَّابعين ؛ أَنَّهُ كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود .

١٠ - الله ﷻ له الخلق والأمر ، قادر على كلّ شيء ، لا يخرج عن قدرته وسلطانه ذرّة في هذا الكون ، فرزق العباد وهدايتهم قدره الله في أمرين ؛ أحدهما : الوحي ، والثَّاني : المطر ، فبالوحي حياة القلوب والأرواح ، وبالمطر حياة الأرض والأبدان .

١١ - الإيمان بالملائكة أصل من أصول العقيدة ، وقد أقرّ به المشركون ، فضلاً عن أتباع الرُّسل ، إلاَّ ما كان من الصابئة والفلاسفة الَّذين يفسِّرون الملائكة بالعقول العشرة الَّتي جعلوا الأفلاك صورًا لها .

١٢ - الاستقامة على الوحي التزام بالقسط ، وحكم بما أنزل الله ، وقيام الدِّين وظهوره بالكتاب الهادي والسّيف القاطع .

❁ ❁ ❁

مراجع البحث

القرآن الكريم ؛ برواية حفص عن عاصم .

١ - **الإبانة الكبرى** ، عبيد الله بن محمَّد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بطّة ، تحقيق : جماعة من المحقّقين – دار الرَّاية – الجزء السَّادس – ط الأولى ١٤١٥ هـ – .

٢ - **الإتقان في علوم القرآن** ، للحافظ أبي الفضل جلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السّيوطي ، تحقيق / مركز الدِّراسات القرآنيّة – طبعة مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف – ١٤٢٦ هـ – .

٣ - **اختصاص القرآن بعوده إلى الرَّحمن الرَّحيم** ، لأبي عبد الله محمَّد بن عبد الواحد المقدسي ، تحقيق / عبد الله يوسف الجديع ، مكتبة الرّشد – الرِّياض – ط الأولى – ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

٤ - **الأربعين في أصول الدِّين** ، لفخر الدِّين الرَّازي ، مكتبة الكليّات الأزهريّة – ومطبعة دار التَّضامن – القاهرة – ط الأولى – ١٤٠٦ هـ – .

٥ - **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** . لإمام الحرمين الجويني . تحقيق / محمد يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم عبد الحميد ؛ مكتبة الخاني – القاهرة – ط الثالثة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م .

٦ - **أساس التقديس** . للإمام فخر الدِّين الرَّازيّ . تحقيق / د. أحمد حجازي السَقّا ؛ دار الجيل – بيروت – ط الأولى – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٧ - **الأسماء والصِّفات** . أحمد بن الحسين بن عليّ الخراساني البيهقي . تحقيق : عبد الله الحاشدي ، مكتبة السَّوادي – جدّة – ط الأولى ١٤١٣ هـ – – ١٩٩٣ م .

٨ - **الإعلام بما في دين النَّصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام .** أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي . تحقيق : أحمد حجازي السَّقا ؛ دار التراث العربي – بدون معلومات أخرى .

٩ - **الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في ردّ أباطيل حسن المالكي** ، عبد المحسن بن حمد العبّاد البدر ، دار الفضيلة – الرِّياض – ط الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م .

١٠ - **الأنساب** ، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمَّد السَّمعاني ، تحقيق / عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر – بيروت – ط الأولى – ١٩٩٨ م .

١١ - **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوزُ الجهل به .** للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاّني . تحقيق / عماد الدِّين أحمد حيدر ؛ دار عالم الكتب – بيروت – ط الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ م .

١٢ - **إيثار الحقّ على الخلق في ردِّ الخلافات إلى المذهب الحقّ من أصول التَّوحيد .** لأبي عبد الله محمَّد بن المرتضى اليماني . دار الكتب العلمية – بيروت – بدون معلومات أخرى .

١٣ - **الإيمان الكبير** ، أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرّاني الدّمشقيّ ، تحقيق : محمَّد ناصر الدِّين الألباني – المكتب الإسلامي – ط الخامسة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

١٤ - **بغية المرتاد في الردّ على المتفلسفة والقرامطة والباطنيّة أهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتّحاد** ، لالإمام أحمد بن تَيْمِيَّة ، تحقيق / د. موسى بن سليمان الدّويش – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنوّرة – ط الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

١٥ - **بيان تلبيس الجهميّة في تأسيس بدعهم الكلاميّة .** لالإمام أحمد ابن تَيْمِيَّة . تحقيق / مجموعة من الباحثين – مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف – المدينة المنوّرة – ١٤٢٦ هـ .

١٦ - **تاج العروس** . لمحمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي . تحقيق / مجموعة من المحقّقين ، دار الهداية ، بدون معلومات أخرى .

١٧ - **تبصرة الأدلة في أصول الدِّين** . تأليف أبي المعين ميمون بن محمد النسفي . تحقيق / كلود سلامة ، دار الجفان والجابي للطباعة والنشر – قبرص – ط الأولى ١٩٩٠م .

١٨ - **التبيان في أيمان القرآن** ، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزيّة ، تحقيق / عبد الله بن سالم البطاطي – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – ١٤٢٩ هـ .

١٩ - **التِّبيان في نزول القرآن (ضمن مجموع فتاوى الإمام أحمد بن تَيْمِيَّة)** ، جمع وترتيب عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم النّجدي ، دار عالم الكتب – الرِّياض – ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

٢٠ - **تبيين كذب المفتري فيما نُسِبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري** . أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر . دار الكتاب العربي – بيروت – ط الثَّالثة ١٤٠٤ هـ .

٢١ - **تفسير التَّحرير والتَّنوير** . للشَّيخ محمَّد الطاهر ابن عاشور . الدار التونسية والدار الجماهيرية – بدون معلومات أخرى .

٢٢ - **التَّحرير والتَّنوير** . محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن عاشور التونسي . الدار التونسية – تونس ١٩٨٤ هـ – بدون معلومات أخرى .

٢٣ - **التّدمريّة تحقيق الإثبات للأسماء والصِّفات وحقيقة الجمع بين الشَّرع والقدر** ، لالإمام أحمد ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق / د. محمَّد بن عودة السعوي ، ط الأولى ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

٢٤ - **التسعينية** . لالإمام أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة . تحقيق / د. محمد بن إبراهيم العجلان ؛ مكتبة المعارف – الرياض – ط الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٢٥ - **تفسير ابن أبي حاتم** ، لعبد الرَّحمن بن إدريس الرَّازي ، تحقيق / أسعد الطيّب – المكتبة العصريّة – صيدا ، بدون معلومات أخرى .

٢٦ - **تفسير القرآن** . للإمام الإمام أبي المظفّر السمعاني . تحقيق / ياسر بن إبراهيم ، وبلال غنيم ، دار الوطن – ط الأولى – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

٢٧ - **تفسير القرآن العزيز** . لأبي عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي زمنين . تحقيق / عبد الله عكاشة ومحمد الكنز ، دار الفاروق الحديثة للنَّشر والتَّوزيع – القاهرة – ط الأولى – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٢٨ - **تفسير القرآن العظيم** . للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدّمشقيّ . ضبطه / حسين بن إبراهيم زهران – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م . و ط دار طيبة – الثَّانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٢٩ - **تهذيب اللغة** . لأبي منصور محمَّد بن أحمد الأزهري . تحقيق / د. رياض زكي ، دار المعرفة – بيروت – ط الأولى – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٣٠ - **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيِّم** ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشَّاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثَّالثة ١٤٠٦ هـ .

٣١ - **التَّوقيف إلى مهمّات التَّعاريف** ، محمَّد بن عبد الرءوف المناوي ، عالم الكتب – ط الأولى – ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

٣٢ - **تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنّان** ، للشَّيخ العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعديّ ، مؤسّسة مكّة للطِّباعة والإعلام – مكّة المكرّمة – ١٣٩٨ هـ . و ط مؤسّسة الرِّسالة بتحقيق : عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق ، الأولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٣ - **جامع بيان العلم وفضله** . أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البرّ النمري القرطبي . تحقيق : أبي الأشبال الزهيري – دار ابن الجوزي – الدمَّام – ط الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

٣٤ - **جامع البيان في تأويل آي القرآن** . محمَّد بن جرير بن يزيد بن غالب أبو جعفر الطبري . تحقيق : أحمد شاكر – مؤسّسة الرِّسالة – ط الأولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٥ - **جامع الرسائل** . لالإمام أحمد ابن تَيْمِيَّة . تحقيق / د. محمد رشاد سالم ؛ دار العطاء ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٣٦ - **الجامع لأحكام القرآن** ، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م . و ط دار الكتب المصريّة – القاهرة – الثَّانية ١٤٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .

٣٧ - **جمهرة اللغة** ، محمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق : رمزي بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت – ط الأولى ١٩٨٧ م .

٣٨ - **جواب الاعتراضات المصريّة على الفتيا الحمويّة** ، لالإمام أحمد بن تَيْمِيَّة ، تحقيق / محمَّد عزير شمس – دار عالم الفوائد – مكَّة المكرّمة – ط الأولى – ١٤٢٩ هـ – .

٣٩ - **الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح** . لالإمام أحمد بن تَيْمِيَّة . تحقيق / علي سيّد المدني – مصر – بدون معلومات أخرى .

٤٠ - **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشَّافي** . محمَّد بن أبي بكر بن أيَّوب ابن قيّم الجوزيّة . دار المعرفة – ط الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

٤١ - **حاشية على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي** ، د. عبد العزيز بن محمَّد آل عبد اللطيف ، مركز البحوث والدِّراسات بمجلّة البيان – ط الأولى – ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ هـ .

٤٢ - **خلق أفعال العباد** ، للإمام البخاريّ ، تحقيق / عبد الرَّحمن عميرة – دار المعارف – الرِّياض – ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

٤٣ - **الدر المنثور** . لجلال الدِّين السيوطي . دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣ م .

٤٤ - **درء تعارض العقل والنّقل** ، لالإمام أحمد ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق / د. محمَّد رشاد سالم ؛ مطابع جامعة الإمام محمَّد بن سعود ، ط الأولى ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م . و ط الثَّانية ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

٤٥ - **ديوان أبي تمّام** ، بدون معلومات عن الطَّبعة .

٤٦ - **ديوان ربيعة بن مقروم الضبّيّ** ، جمع وتحقيق / تماضر عبد القادر فيَّاض حرفوش ، دار صادر – بيروت – ط الأولى ١٩٩٩ م .

٤٧ - **ديوان الشمَّاخ بن ضرار الذبياني** ، حقّقه وشرحه : صلاح الدِّين الهادي ، دار المعارف – مصر – ١٩٦٨ م .

٤٨ - **ديوانا عروة بن الورد والسموأل** ، دار بيروت للطِّباعة والنَّشر ، بيروت – ١٩٨٢ م .

٤٩ - **ردّ الإمام الدّارمي عثمان بن سعيد على المريّسي العنيد (ضمن عقائد السَّلف)** . جمع / د. علي سامي النشار ، و د. عمّار جمعى الطالبي ، منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٧١ م .

٥٠ - **الردّ على الجهميَّة للإمام أبي سعيد الدّارمي (ضمن عقائد السَّلف)** . جمع / د. علي سامي النشار ، و د. عمّار جمعى الطالبي ، منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٧١ م .

٥١ - **الردّ على الجهميّة والزَّنادقة** ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : صبري شاهين – دار الثّبات – ط الأولى – بدون معلومات أخرى .

٥٢ - **الرد على الزنادقة والجهمية** . لإمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل ت ٢٤١ ه- . ضمن عقائد السلف ؛ جمع / علي سامي النشار وعمَّار الطالبي ، منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٧١ م .

٥٣ - **الردّ على الشّاذليّ في حزبه، وما صنّفه في آداب الطَّريق** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرَّاني الدّمشقي . تحقيق: علي العمران – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة– ط الأولى١٤٢٩هـ– .

٥٤ - **الرِّسالة التّبوكيّة** . محمَّد بن أبي بكر بن أيّوب ابن قيّم الجوزيّة . تحقيق : محمَّد جميل غازي – مكتبة المدني – جدّة – بدون معلومات أخرى .

٥٥ - **رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الردّ على من أنكر الحرف والصّوت** ، عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري ، تحقيق : محمَّد باكريم با عبد الله – عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلاميَّة – المدينة المنوّرة – ط الثَّانية ١٤٢٣ هـ– – ٢٠٠٢ م .

٥٦ - **رسالة في المسألة المصريّة (ضمن مجموع فتاوى الإمام أحمد بن تَيْمِيَّة)** ، جمع وترتيب عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم النّجدي ، دار عالم الكتب – الرِّياض – ١٤١٢ هـ– – ١٩٩١ م .

٥٧ - **الرِّسالة المدنيّة في الحقيقة والمجاز (ضمن مجموع فتاوى الإمام أحمد بن تَيْمِيَّة)** ، جمع عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم النّجدي ، دار عالم الكتب – الرِّياض – ١٤١٢ هـ– – ١٩٩١ م .

٥٨ - **رسالة مسألة الأحرف الَّتي أنزلها الله على آدم (ضمن مجموع فتاوى الإمام أحمد ابن تَيْمِيَّة)** ، جمع وترتيب عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم النّجدي ، دار عالم الكتب – الرّياض – ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

٥٩ - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .** للعلاّمة أبي الفضل محمود الآلوسي البغدادي . تحقيق / محمَّد أحمد الأمد وعمر عبد السَّلام السلامي – دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التأريخ العربي – بيروت – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٦٠ - **زاد المسير في علم التَّفسير .** للإمام أبي الفرج عبد الرَّحمن بن علي الجزري البغدادي . المكتب الإسلامي – بيروت – ط الأولى – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م . و ط دار الكتاب العربي – الأولى ١٤٢٢ هـ .

٦١ - **الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس .** محمَّد بن القاسم بن بشّار أبو بكر الأنباري . تحقيق : د. حاتم الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٦٢ - **السُّنَّة** ، أبو بكر أحمد بن محمَّد بن هارون الخلاّل البغدادي الحنبلي ، تحقيق : د. عطيّة الزَّهراني – دار الرَّاية – ط الأولى – ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .

٦٣ - **شرح الأصبهانيَّة .** للإمام أحمد ابن تَيْمِيَّة . تحقيق / د. محمَّد بن عودة السّعوي ؛ مكتبة دار المنهاج ، ودار جودة – الرّياض ، ط الأولى ، ١٤٣٠ هـ .

٦٤ - **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .** للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي . تحقيق / د. أحمد سعد حمدان ؛ دار طيبة – الرياض – بدون معلومات أخرى . و ط دار طيبة – أيضًا – الثَّامنة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

٦٥ - **شرح السُّنَّة** ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي الشَّافعيّ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ومحمَّد زهير الشَّاويش – المكتب الإسلامي – دمشق – ط الثَّانية ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٦٦ - **شرح صحيح مسلم** ، للإمام مُحيي الدِّين أبي زكريّا يحيى بن شرف النَّووي الشَّافعيّ ، مراجعة : فضيلة الشَّيخ خليل الميس ؛ دار القلم – بيروت – ط الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٦٧ - **شرح العقيدة الأصفهانية** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرّاني الدمشقيّ . تحقيق : محمَّد رياض الأحمد – المكتبة العصريّة – ط الأولى ، ١٤٢٥ هـ .

٦٨ - **شرح العقيدة الطحاوية** . محمَّد بن عليّ بن أبي العزّ الحنفي الأذرعي . تحقيق : أحمد شاكر – وزارة الشؤون الإسلاميَّة – ط الأولى ١٤١٨ هـ .

٦٩ - **شرح العقيدة الواسطيّة من كلام الإمام ابن تَيْمِيَّة** . خالد بن عبد الله المصلح . دار ابن الجوزي – الدمَّام – ط الأولى ١٤٢١ هـ .

٧٠ - **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري** . للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان . مكتبة الدار – المدينة المنورة – ط الأولى – ١٤٠٥ هـ .

٧١ - **الشِّفَا بتعريف حقوق المصطفى** - ﷺ - . للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي . تحقيق / علي محمد البجاوي ؛ دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٧٢ - **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل** . محمَّد بن أبي بكر بن أيّوب ؛ ابن قيِّم الجوزيَّة . دار المعرفة – بيروت – ط ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

٧٣ - **الصواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة** . للإمام شمس الدّين محمَّد بن أبي بكر الشّهير بابن قيّم الجوزيّة . تحقيق / د. علي الدّخيل الله ، دار العاصمة – ط الأولى – ١٤٠٨ هـ – .

٧٤ - **العلل ومعرفة الرِّجال** ، للإمام أحمد بن حنبل الشّيباني ، تحقيق / وصيّ الله بن محمَّد عبَّاس ، المكتب الإسلامي ، دار الخاني – بيروت ، الرّياض – ط الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٧٥ - **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ((معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم))** . الشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي . تحقيق / الدكتور : محمد ألتونجي ؛ عالم الكتب – بيروت – ط الأولى – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .

٧٦ - **الفتاوى الكبرى** ، للإمام ابن تَيْمِيَّة ، قدَّم له : حسنين محمَّد مخلوف . دار المعرفة – بيروت – بدون معلومات أخرى . و ط دار الكتب العلميَّة – الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .

٧٧ - **فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ** ، جمع وتحقيق / محمَّد بن عبد الرَّحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكّة المكرّمة – ط الأولى – ١٣٩٩ هـ – .

٧٨ - **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري** . للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . خدمه / محب الدّين الخطيب ، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي ، وقصي محبّ الدّين الخطيب ؛ دار الريان للتراث – القاهرة – ط الثانية – ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م .

٧٩ - **فتح المجيد لشرح كتاب التَّوحيد** ، للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن آل الشَّيخ ، تحقيق / د. الوليد بن عبد الرَّحمن آل فريَّان – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – ١٤٣٦ هـ – .

٨٠ - **الفتوى الحمويّة الكبرى** ، لالإمام أحمد بن تَيْمِيَّة ، تحقيق / د. حمد بن عبد المحسن التّويجري ، مكتبة دار المنهاج ودار جودة – الرياض ، ط الأولى ، ١٤٣٠ هـ – .

٨١ - **قاعدة في القرآن وكلام الله (ضمن مجموع فتاوى الإمام أحمد بن تَيْمِيَّة)**، جمع وترتيب عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم النّجدي، دار عالم الكتب – الرِّياض – ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م.

٨٢ - **قواعد العقائد** . أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزَّالي الطوسي . تحقيق : موسى محمَّد علي ؛ دار عالم الكتب – لبنان ط الثانية – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

٨٣ - **كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الربّ** ﷻ ، لإمام الأئمَّة أبي بكر محمَّد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق / د. عبد العزيز بن إبراهيم الشّهوان – مكتبة الرّشد – الرِّياض – ط الثَّانية – ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

٨٤ - **كتاب التَّوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتّفاق والتّفرّد** ، للإمام الحافظ محمَّد بن إسحاق ابن منده ، تحقيق / د. علي بن محمَّد الفقيهي – مكتبة الغرباء الأثريّة – المدينة المنوّرة – ط الثانية – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٨٥ - **كتاب التَّوحيد** ، للإمام أبي منصور الماتريدي ، تحقيق / د. فتح الله خليف ، دار الجامعات المصريّة ، بدون معلومات طبع أخرى .

٨٦ - **كتاب الشَّريعة** ، للإمام أبي بكر محمَّد بن الحسين الآجُرّي ، تحقيق / د. عبد الله بن عمر الدميجي ؛ دار الوطن – الرِّياض – ط الأولى ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

٨٧ - **كتاب الصّفديّة** ، لالإمام أحمد بن تَيْمِيَّة ، تحقيق / د. محمَّد رشاد سالم – مكتبة ابن تَيْمِيَّة – القاهرة – بدون معلومات أخرى .

٨٨ - **الكيلانيّة (ضمن مجموع فتاوى الإمام أحمد بن تَيْمِيَّة)** ، جمع وترتيب عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم النّجدي ، دار عالم الفوائد – الرِّياض – ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

٨٩ - **لسان العرب** . للعلاّمة أبي الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم بن منظور المصري . دار صادر – بيروت – ط الثالثة – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٩٠ - **مجموع فتاوى الإمام أحمد بن تَيْمِيَّة** . جمع وترتيب / عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم النَّجدي وابنه محمَّد ؛ دار عالم الكتب – الرياض – ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م . و ط مجمع الملك فهد – المدينة المنوّرة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

٩١ - **مجموعة الرَّسائل والمسائل** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرّانيّ الدّمشقيّ . تعليق : السيّد محمَّد رشيد رضا – لجنة التراث العربي – بدون معلومات أخرى .

٩٢ - **المحرر الوجير في تفسير الكتاب العزيز** . للقاضي أبي محمَّد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي . تحقيق / عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد ؛ دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٩٣ - **مختصر الصَّواعق المرسلة على الجهميَّة والمعطّلة** . اختصره محمَّد بن عبد الكريم البعلي ؛ ابن الموصلي . تحقيق : سيّد إبراهيم ، دار الحديث – القاهرة – ط الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٩٤ - **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للإمام ابن قيّم الجوزيّة** . اختصره الشيخ الفاضل محمد بن الموصلي . دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م .

٩٥ - **مدارك التَّنزيل وحقائق التأويل** ، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات النّسفيّ ، تحقيق : يُوسف بديوي – وتقديم ومراجعة : محيي الدِّين ديب ، دار الكلم الطيّب – بيروت – ط الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٩٦ - **المطالب العالية من العلم الإلهي** . تأليف محمَّد بن عمر الرَّازي . ضبط / محمَّد عبد السَّلام شاهين – دار الكتب العلميَّة – بيروت – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٩٧ - **معالم التنزيل (تفسير البغوي)** ، للإمام البغوي ، تحقيق/ خالد عبد الرَّحمن العك ، دار المعرفة – بيروت – بدون معلومات أخرى . و ط دار طيبة – تحقيق : جماعة من المحقّقين ، ط الرَّابعة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٩٨ - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، وضعه / محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار الريّان للتراث ، دار الحديث – القاهرة – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٩٩ - **معجم مقاييس اللُّغة** ، أحمد بن فارس القزويني الرَّازي ، تحقيق : عبد السَّلام هارون ؛ دار الفكر – ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .

١٠٠ - **المعجم الوسيط** ، مجمع اللُّغة العربيَّة ، جمهوريّة مصر العربيَّة – ط الرَّابعة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

١٠١ - **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** . للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر ابن قيِّم الجوزيّة . تحقيق : عبد الرَّحمن بن حسن فايد ، دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – ط الأولى – ١٤٣٦ هـ .

١٠٢ - **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين** . للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . بعناية/ هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الثالثة – بدون معلومات أخرى .

١٠٣ - **مقالة التَّشبيه وموقف أهل السُّنَّة منها** ، د. جابر بن إدريس أمير ، أضواء السَّلف – الرِّياض – ط الأولى – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٠٤ - **مقاييس اللغة** ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا ، تحقيق / عبد السَّلام محمَّد هارون ؛ النَّاشر : الحلبي وأولاده – مصر – ط الثَّانية – ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م .

١٠٥ - **مناهل العرفان في علوم القرآن** . تأليف محمَّد عبد العظيم الزرقاني . تحقيق/ بديع السيد اللحَّام ، دار قتيبة – ط الأولى – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨ م .

١٠٦ - **منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة والقدريّة** . لالإمام ابن تَيْمِيَّة . تحقيق / د. محمَّد رشاد سالم ؛ مطابع جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية – الرياض – ط الأولى – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

١٠٧ - **ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال** . لشمس الدِّين محمَّد بن أحمد الذَّهَبيّ . تحقيق / علي محمَّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلميّة – بيروت – ط الأولى ١٩٩٥م .

١٠٨ - **النُّبُوَّات** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرّانيّ الدّمشقيّ . تحقيق : عبد العزيز الطويان ؛ دار أضواء السلف – الرياض – ط الأولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

١٠٩ - **نقض الإمام عثمان بن سعد على المريسي العنيد** ، للدارمي ، تحقيق : رشيد الألمعي – مكتبة الرّشد – الرِّياض – ط الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

١١٠ - **نقض كلام المفترين على الحنابلة السّلفيين** ، أحمد بن حجر آل بوطامي ، مكتبة ابن تَيْمِيَّة – الكويت – ط ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

١١١ - **النكت والعيون** . للإمام أبي الحسن علي بن محمَّد الماوردي البصري . تعليق / السيّد عبد المقصود بن عبد الرَّحيم ؛ دار الكتب العلمية – بيروت – بدون معلومات أخرى .

١١٢ - **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** . للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر ابن قيِّم الجوزيّة. تحقيق/ عثمان جمعة ضميريّة؛ دار عالم الفوائد– مكّة المكرّمة– ط الأولى– ١٤٢٩ هـ .

فهرس الموضوعات

المقدّمـة ٤٠٢٩

أسباب اختيار الموضوع ٤٠٣٣

المبحث الأَوَّل : معنى النُّزول في لغة العرب ٤٠٣٥

المبحث الثَّاني : النُّزول المقيَّد من الله تعالى ٤٠٤٥

طرق القرآن في تقرير كلام الله تعالى وأنَّهُ منزل من عنده على رُسلِه الكرام ٤٠٤٨

طُرق أهل السُّنَّة والجماعة لإثبات كون الله يتكلَّم بمشيئته ٤٠٥٤

النَّوع الأَوَّل : الطُّرق السَّمعيَّة ٤٠٥٤

النَّوع الثَّاني : الطُّرق العقليَّة ٤٠٥٧

المبحث الثَّالث : أقوال الطَّوائف في كلام الله تبارك وتعالى ((القرآن)) ٤٠٦٢

القول الأَوَّل ٤٠٦٣

القول الثَّاني ٤٠٦٤

القول الثَّالث ٤٠٦٥

القول الرَّابع ٤٠٦٥

القول الخامس ٤٠٦٦

القول السَّادس ٤٠٦٧

القول السَّابع ٤٠٦٧

القول الثَّامن ٤٠٦٨

القول التَّاسع (القول الحقّ) ٤٠٧١

أوَّلاً : الأدلّة القرآنيَّة ٤٠٧٢

ثانيًا : الأدلّة من السُّنَّة النَّبويَّة ٤٠٧٤

ثالثًا : أقوال السَّلف ونصوص العلماء ٤٠٧٩

المبحث الرَّابع : النُّزول المقيَّد بالسَّماء ٤٠٨٣

المبحث الخامس : النُّزول المطلق ٤٠٩٣

النَّوع الأَوَّل : إنزال الملائكة **٤٠٩٣**
النَّوع الثَّاني : إنزال الآيات **٤٠٩٨**
النَّوع الثَّالث : إنزال الميزان والحديد **٤١٠١**
النَّوع الرَّابع : إنزال الأنعام واللِّباس **٤١٠٣**
الخاتمة ٤١٠٩
مراجع البحث **٤١١١**
فهرس الموضوعات **٤١٢٥**